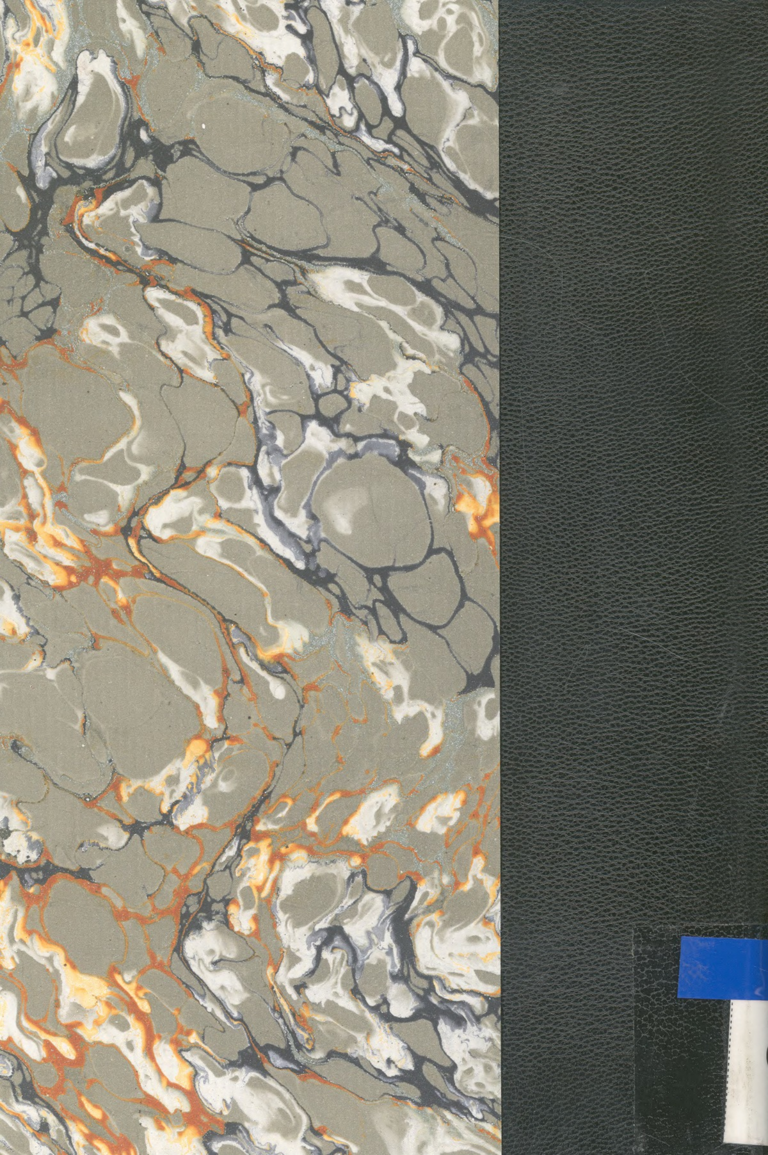


الفارس الاسود

مأساة ذات خمسة فصول

نثرية يتخللها شعر وغناء

ويتقدَّمها تنبيهات في التمثيل

بقلم

نجيب حبيقه

طبع بالمطبعة العثمانية في بعبدا (لبنان) سنة ١٨٩٩

مقدمة

امّا بعد حمد الاله المنان حمدًا جزيلاً والدعاء لوليّ نعمتنا دعاءً طويلاً فاقول :

لقد طوّحت بي النفس الى معاناة فنّ التمثيل . فبذلتُ الهمة في درس اصوله وفروعه ومطالعة تآليف الائمّة فيه . وقد تيسّر لي في خلال هذا العام ان انشر تباعًا في مجلة « المشرق » مقالات ضافية في اصول الرواية التمثيلية من حيث التأليف . وسأستوفي الكلام ان شاء الله في فروعها ثم في شروط تمثيلها . ولا خفى ان هذا الفن جليل الشان جزيل النفع يُعدّ من افضل ما جمع بين اللذة والفائدة . غير انه وعر المسلك كثير العقبات ولا سيما في بلادنا . لا يعود منه على من زاوله غير العناء . ولكن هي النفس لا بدّ لها مما تولع به . والجنون فنون

ولقد ساقتني الاقدار الى وضع رواياتٍ تعريبًا وتأليفـًا توفّقتُ الى تمثيلها بأوقاتٍ مختلفة . فاجتمع لديّ منها عددٌ ما . وقد

كان في النية ان ابقيها كلها في عالم الخفاء اعتقاداً منّي انها لا تليق بان تظهر وتُنشر قبل اعادة النظر فيها ملياً والاشتغال طويلاً في تنقيحها واصلاح ما وفر فيها من الخلل . ولكن لعبت بها ايدي النسّاخ فبرزت في كلّ نادٍ بعرض المسخ والتشويه . فلا هي تبقى في طيّ السرّ ولا اشغالي تمكنني من تهذيبها كما ارغب . فلذا لم اجد بدّاً من طبعها واحدة فواحدة على علاّتها حرصاً عليها من سوء المصير . فمن الويلَين اهونهما

واول ما تيسّر طبعه « الفارس الاسود » . وهي ثاني رواية وضعتُها ومثّلتها . وان تكن اقتضت منّي لوضعها وقتاً اطول مما كلّفتني سائر رواياتي كلّها معاً فهي اوهنها لحمةً واكثرها نقصاً . والسبب في ذلك انني كنت قد اتخذت موضوعاً جديداً واخترت الواقعة وبطلها واشخاصها ونسّقت فصولها ومشاهدها ثم اخذت في نسج عباراتها من غير نشاط . فما انتهيت من الفصلَين الاوّلَين . الاّ كنت سئمت منها وضاق عليّ الوقت . لانه كما سبق وعدي بإعدادها للتمثيل في اجَل مسمّى . فساءني ذلك . لكنني ما لبثتُ ان وجدت سبيلاً الى التنصّل من مقامي الحرج اذ خطر لي امرٌ رايته ممكناً . وهو انني ضممت الفصلين المذكورين الى رواية ذات ثلاثة فصول كانت عندي قد نقلتها الى العربية من عهد بعيد عن

اصلها الافرنسي للاب كاميل اليسوعي وعنوانها « المنقطع الى القبور» (Le Solitaire des Tombeaux) وهكذا بعد اصلاحات وتغييرات طفيفة تمّ التحام القسمين وامكنني تمثيل « الفارس الاسود» في عاليه في ٨ و١٣ و١٥ ايلول سنة ١٨٩٥ . ولقد اعددتها ايضاً في ربيع السنة التالية للتمثيل في بيروت تحت حماية وعناية ملجأ ولاية بيروت الاسبق عطوفتلو نصوحي بك الافخم ليوزّع دخلها على منكوبي بعض الولايات . ولكن قضت الظروف بأنها لم يتمّ تمثيلها

فانا ازفّها اليوم الى القرّاء الكرام على حالها الاولى مكتفياً بان علّقت عليها بعض الحواشي والشروح العامّة . واذا وفّق الله الى اعادة طبعها فاني ازيد عليها من الانتقاد ما يسمح به الخاطر وما يجود به اهل الذوق. ان صحّ انها تستلفت انظارهم وتستدرّ الفوائد من اقلامهم . فاني مقرّ بما فيها من مواقع الخلل الكثيرة وموقنٌ انها لا تروق في عين اهل الفنّ . وما حسناتها ان ذُكرت الاّ قليلة . ففيها بعض فكاهة للمطالعين ونظر للمنتقدين مع فوائد عامّة للمثلين . وربما انتفع بها ارباب المدارس والاندية والجمعيات الذين يتكلّفون المشاقّ دون الوصول الى اعداد الحفلات العمومية وتمثيل الروايات الادبية . ولعلّهم يقضى لهم وطر « بالفارس الاسود» فانها مع ما فيها من العِلل لا تبعد في التمثيل من ان يحسن وقعها

وتطيب بها نفوس الجمهور لما فيها من المشاهد والحركات [1] .

فسيري ايتها الرواية باسم الله مجراكِ ومرساكِ . فان نلتِ حظوة في اعين الكرام فلهم اشكري . والاَّ فلومكِ على نفسكِ . ان النفس كانت امَّارة بالسوء

---

(١) لقد حفظت لنفسي حق تمثيلها . ولكن من رغب فيها من الادباء فله ان يخابرني . وما كنت لأُمنعها عنه اذا توفرت لديه الوسائل لاتقان تمثيلها . وغاية ما اشترط عليه ان يدفع على قدر امكانه قيمة يصير الاتفاق عليها برسم «مأوى العجز» في بيروت (لجمعية اخوة الفقراء) او مشروع آخر خيري . فاني ادلّ الراغب على ارباب المشروع وهو يرسل القيمة اليهم رأساً . وهكذا يتسنى له تمثيلها حلالاً . فتكون هذه القيمة الزهيدة في سبيل الخير افضل زكاة واحسن تمهيد للنجاح . بحوله تعالى

تنبيهات

ان التمثيل لا يقع تحت ضابط · ولا ينحصر حصره ضمن دائرة محدودة · فلو تعرّضنا للبحث في ابوابه وتفاصيله لاقتضى منا الصفحات العديدة · على ان المقام لا يسمح بغير تنبيهات وجيزة لا غنى عنها :

١ً ان اهمّ ما يجب استلفات النظر اليه « الحياء البشري » · فهو العدو الالدّ للمثلين · يسطو على انفسهم ويضغط على افكارهم وحركاتهم حتى لا يبدو منهم الاّ اصوات منكرة وهيآت مستهجنة

٢ً يتحتم على الممثل ان يتجرّد من نفسه على نوعٍ ما · ويلبس الشخص الذي يقوم مقامه فيكون هو اياه في كل حالاته

٣ً يشترط في الصوت الوضوح كي لا يكلف السامعين عناء · والملائمة كي يوفي العواطف المتنوعة حقها في التعبير من النبرات والعطفات

٤ً يجب في اللفظ ان يكون صريحًا حسن التقطيع مطابقـًا لأُصول القراءة من حيث المدّ والقصر معتدل اللهجة بين الاسراع المخلّ والمهل المملّ

٥ً ان اهمّ ما يشترك مع الصوت في ابراز العواطف العينان (وهما مرآة النفس) واليدان · ولكن لا غنى بها عن الجبين والحاجبين والانف والشفتين والرأس والكتفين والصدر والرجلين وهيكل الجسم · فان لكلٍّ مما ذكرنا حركة معنوية تختلف باختلاف المقام · وهذه الحركات المتنوعة لا بدّ منها ليستوفي التمثيل شروطه · فهي اذا اتقنها المرء كان له عنه من مجموعها صورة ناطقة بما في صدره تكاد تغنيه عن ان يتكلم · واننا الشاهد على ذلك في التشخيص المعروف بالبانتوميم

٦ الحركة تكون مع العبارة ٠ واحيانًا تسبقها لا سيّما في حالة الحدّة ٠ ولا يجوز ان تأتي بعدها

٧ يجب في الحركات ان تكون قليلة تامة ٠ اي لا نجعل لكل كلمة حركة فيبدو منا في العبارة الواحدة حركات كثيرة ناقصة ٠ و يستغنى عنها في بعض الاحيان عند قول اشياء ليست ذات بال ٠ اما في ثوران العواطف فتكون الحركات كثيرة متقطعة من غير انتظام .

٨ يقتضي في الحركات ان تكون متنوعة ملائمة لمقتضى الحال ٠ فلا تبدو لنا اليد في ذهاب واياب كرقاص الساعة

٩ ان الاشارة تتم باليد اليمنى واحيانًا بكلتا اليدين معًا ٠ ومن النادر الاشارة باليسرى وحدها ٠ ولا يصحّ ان نشير مرة باليمنى ومرة باليسرى على سبيل المناوبة كما هو جارٍ عند الكثيرين

١٠ يستهجن في الكفّ ان تكون منقبضة كالكلابة او مبسوطة منفرجة الاصابع ٠ واحسن هيآتها ان تكون الاصابع متقاربة غير متلاصقة منحنية الاطراف قليلاً متدرّجة في امتدادها من الخنصر الى السبابة

١١ لا يجوز في اليد ان تكون متصلبة في استقامتها او انثنائها ٠ ولا ان تجعل حركتها عند الفخذ او تعلو فوق الرأس ٠ ولا ان تتعدّى الصدر او ترجع نحو الظهر ٠ واصولها ان تبتدىء حركتها من الصدر كأنها صادرة عن القلب ولا تبعد كثيرًا من ذلك المقام ٠ اما في بعض الاحوال ولا سيما عند هيجان العواطف فلا يبعد ان تتعدى اليد حدودها وتتطرف في الاشارات

١٢ لا يجوز الاشارة بالسبابة الاّ نادرًا جدًّا ٠ ومن المضحكات الاشارة بها الى العين والاذن والصدغ للقول اننا رأينا او سمعنا او افتكرنا .

١٣ يستحسن وقوف الممثلين في أوّل المرسح (الاّ لبعض دواعٍ) ليسهل على الجمهور ان يراهم و يسمعهم . ولكن اياهم من الجمود في مكانهم كأنهم لاصقون بالارض وان كانوا قاعدين فلا بدّ من تغيير هيئة جلوسهم لئلا يظهروا كالاصنام

١٤ لا يليق بالممثل ان يدير ظهره للحاضرين في سكونه او حركته . ولا ان يخفي بجسمه غيره من الممثلين الاّ اذا كان الرجل من هولاء لادخل له مهمّ في المشهد

١٥ عند المقاطعة في الحديث لا ننتظر ان يتوقف مكالمنا عن الكلام . بل نقاطعه قبل ان يستتمّ عبارته المكتوبة - وهو عليه ان يجد له الفاظاً لمتابعة الحديث ان لم نقاطعه حين اللزوم . فما ابرد قولنا له « قف . لا تزِد الخ » وهو قد وقف من تلقاء نفسه

١٦ ان ضحك الجمهور او صفق او ضجّ يجب التوقف الى ان يتمالك القوم وتعود السكينة . والاشارة قبل الكلام (راجع عدد ٦) احسن وسيلة لتنبيه الحضور الى السكون والسكوت

١٧ عند الانتقال من السكينة الى الغضب او من الغضب الى السكينة يجب التدرج شيئاً فشيئاً الا اذا بدا قول او فعل يستدعي شبوب النار او خمودها فجأة

١٨ انبهك ايها الممثل الكريم الى امرٍ ذي شأن طالما يغفل عنه امثالك . وهو انك لما تتكلم يظهر عليك التأثر . واذا سكتّ زال عنك كلّ تأثر وانتباه الى غيرك واهتمام بما يقولون او يفعلون . كأنك لست بينهم . حتى اذا انتهوا عدتَ الى حالك الاولى من الانفعال . وهذا من اقبح العيوب في التمثيل . فانه يجب عليك الانتباه والاهتمام الى كل ما يجري حواليك ولو كنت من الاشخاص الثانويين . وخير ما اقوله لك في الختام : عليك ان تمعن النظر في

احوال الطبيعة ونواميسها وترعى حرمتها

١٩ يسمح لي الان من يقوم بادارة تمثيل رواية ان اوجه اليه الكلام: فاسمع غير مأمور يا حضرة المدير ما انتجه لي الاختبار . فقد علمني ان اعدل في تدريب الممثلين عن كثرة الملاحظات والشروح وامثل انا بنفسي الدور امام صاحبه . فيكون فعلي ابلغ من قولي ومثلي اجدى من شرحي . ولكن اياك من الضغط على الممثل واجباره نوعاً على ما تقليد حركاتك حتى يصبح كالآلة . فالاحرى ان ان تعطيه المثل وتترك له حرية العمل يتصرف كما تدفعه الطبيعة ضمن دائرة معلومة لا يتعداها فاكتف بان ترده اليها ان خرج عنها

٢٠ علمني الاختبار ايضاً ان لا اغفل عن شيء من دقائق الامور ولا اؤجل رأياً ام تدبيراً . بل اعود كل فرد من الممثلين منذ البداءة على حركاته وسكناته ومداخله ومخارجه وحمل ادواته حتى يكون له ذلك طبيعة ثانية . واصرف جل العناية الى الحركات العمومية المشتركة بين كثيرين نظراً الى صعوبتها ودقتها واهميتها

ومن الحكمة ان تتخذ لك دفتراً صغيراً تقيد فيه ما تكون جمعته مع التمادي من دقائق الامور المتعلقة بادارتك من اسماء وحركات وادوات . وذلك بالترتيب كل فصل لنفسه . فيكون لك هذا الدفتر خير معين في ساعة التمثيل الخطيرة حيث يلهو كل بنفسه وحيث لا العقل يعي ولا الوقت يمهل او يسمح باستدراك ما فرط . ولا خفى ان اقل اهمال ينتج عنه حبوط الرواية . على حين ان نجاحها لا يتم الا باتقـان جميع الدقائق . فعليك ايهـا المدير الفاضل اتخاذ التدابير اللازمة وعلى الله توفيق مسعاك . انه خير مستعان

الملعب

يراد « باليمين والشمال » على الملعب يمين الحاضرين وشمالهم لا يمين الممثلين وشمالهم . « وآخر الملعب » يراد به قعره او الوجه البعيد من الحاضرين وهنالك يكون «الستار الجواني» و«اول الملعب» هو الوجه القريب من الحاضرين حيثما يكون «الستار البراني» او «الستار» فقط وهو الذي يرتفع او ينزل بين الفصول فيكشف عن الملعب او يحجبه

وما بين الستارين البراني والجواني يوجد عادة ثلاث ستائر الى اليمين وثلاث الى الشمال تقابلها . وكلها تعرف « بالكوليس » . فالستارة الموجودة في اول المرسح الى الجانبين هي الكوليس الاولى . ووراءها الكوليس الثانية . ووراء هذه الكوليس الثالثة . وما بين هذه الستائر يكون الدخول والخروج

ويراد « بالصف الاول » المساحة الممتدة من اليمين الى الشمال امام الكوليس الاولى . و« بالصف الثاني» ما امتد امام الثانية . و«بالصف الثالث» ما امتد امام الثالثة . وقد استعملنا الاعداد « ١ و٢ و٣ » عبارة عن الصفوف

وربما وجد امام الكوليسات السابق ذكرها كوليس اخرى في اول الملعب فهذه ان وجدت تبقى ثابتة لا تتغير بتغير المشاهد ولا سبيل الى المرور من امامها . ولا عبرة بها

اسماء الممثلين

سيمون	امير دي مونفور
اموري	ابنه
جوفروا	صاحب الشرط لعهد سيمون
جرار	ابن جوفروا
ريموند	امير تولوز
راعول	وكيل ريموند
لويس	كونت دي فوا (امراء)
غليوم	كونت دي بروفنس (امراء)
هنري	سير دالبره (امراء)
هوك	خفراء ريموند
روبر	خفراء ريموند
جاك	خفراء ريموند
دانيال	سجان
إيمار	ملاح

منادي الحرب . خفراء . جنود . قرويون

الفصل الاول

يمثل المرسح نهر الغارون وعلى ضفتيه الاشجار

جرار . هوك . روبر . ريموند . راعول . الفارس الاسود

المشهد الاول

جرار ثم هوك

جِرار (حائرًا وجلاً)

هل فارسٌ اسودٌ يبغي مصارعتي ام ذا خيالٌ سرى ليلاً على اثري

فبات اتبعَ من ظلّي يلاحقني كأنه ثائرٌ قد جدَّ في ضرري

بالله يا شجرَ الغارون تنبئني

من ذا الذي بات ملءَ السمع والبصرِ

اصمت فؤادي سهامٌ من لواحظهِ واحرقت كبدي عيناهُ بالشررِ (١)

(١) يُستحسن مثل هذا المطلع . فإنا لا نسمع الكلمات الاولى الا استجلب خواطرنا الفارس الاسود وظهر لنا ان بينه وبين جرار شأنًا خطيرًا فضلاً عن اننا نعرف ان الفصل الاول يتم على ضفة نهر الغارون . ولا ريب ان تشوقنا في ازديادٍ دائم للوقوف على جلية امر الفارس الاسود وهو

هوك (يدخل من الآخر ببعض عجلة فيقف مكانه مندهشاً من حالة جرار) بُعداً لك يا جرار . فما تقول . لقد تغيَّرت أطوار هذا الفتى من ايَّام قلائل . وساءت حاله فلم يعُد يهتدي لصوابه . ولا ريب انه بُلي بداهيةٍ او يتوقَّعُ مصيبةً

جُرار (غير منتبه الى وجود هوك)

ما راق هذا الدهرُ يوماً لا ولا طابت به اللذَّات والأَفراحُ

وطوارق الحدثان اوهنتِ القوي

وتجارتي خسرتْ بها الأَرباحُ

افنيتُ عمري في الدهاء ولم يكن الاَّ نصيبي الهمُّ والأَتراحُ

آه من الفارس الاسود . فان به تمَّ بلائي . الفارس الاسود . . . هناك رأَيتهُ . . . وقد رشقني من نظراته بسهمٍ خرق فؤَادي . ولست ادري من هو ولا ما شأْنهُ . وقد حارت

بطل الرواية الذي لا نزال نسمع بذكره من غير ان نراه الا نادرًا وفي المواقف الحرجة فقط . فكانه ملاك يحوم فوق الرووس لا تخفاه خافية من ظروف الواقعة ولا يفوته عمل . حتى اصبح يرهب جانبه الاشرار و يأنس به الضعيف والمظلوم . وحالة جرار في هذا الفصل واقواله تدلنا على ان ضميره يعذبه بتخسه عقاباً له على جريمة ارتكبها . وما كان ظهور الفارس الاسود الا ليزيده انحطاطاً و يأساً .

الالباب في امره · فويلي من الفارس الاسود (يخرج ولم ينتبه الى هوك)

هوك (يتقدم الى الامام) الفارس الاسود ··· لقد اخذ الوهم من الجميع فلستُ اسمع الاَّ من يذكر الفارس الاسود · وما هو سوى خيالٍ تصوَّروهُ ولم يرَوهُ · فتمثَّلوهُ في كل أينٍ وآن

المشهد الثاني

هوك · روبر

روبر (يدخل بعجلة ورعب) لعن الله صُلبهُ ··· ويك هوك اما رايتَهُ

هوك ومن تعني يا لُكَع

روبر هو· الفارس الاسود

هوك ما يكون اليوم · كلٌّ يراه وكلٌّ يلهج بذكره

روبر اما رايتهُ·وقد مرَّ من هنا وهو غائص بالحديد وقد غاب تحت جلباب اسود كالليل

هوك (هازئًا) وزِد ان عينَيه ترميان بالشرر

روبر اراك تسخر بي كأَنك في ريب

هوك افٍّ لك يا روبر · اخذ منك الجزع فتوهَّمتَ ما لا حقيقة له · وتصورتَ ما لم ترَ

روبر ما لم أرَ ؟ وقد رايتهُ وما انا بنائم · رايته بعيني · وهو اشبهَ به من الليلة بأُختها

هوك اشبه بمن ؟

روبر بمن ؟ كأنك غريب الدار · ويك انسيتَان زيموند صاحبَ القصر لم يكن لعشر سنوات خلَت الاَّ فقيرًا اذلّ من النقَد لا يملك بلغةً ولا يرنو الاَّ بعين اليتيم

هوك وهو الآن السيّد المطاع

روبر وما كان ذلك الاَّ لانه تزلَّف الى الامير سيمون · فرقَّ هذا لحاله وقرّبه اليه · ولكن اللئيم كفر بالنعمة وائتمر مع راعول وجرار على الامير وآلهِ فنصبوا لهم المكائد · فكان من ثَمَّ ان وُجدت الاميرة ايزابل قتيلة مضرَّجة بدمها ولم يهتدَ الى معرفة القاتل . واختفى الامير ذات يوم فلم يقف له احد على خبر · بل شاع انه هام على وجهه بعد مقتل حليلتهِ · ولا ريب انه لقي حتفه · رحمة الله عليه وعلى الاميرة فما كان اشرفها واكرم سجاياها

هوك لأمّك الويل · اوَجئت تعيد عليّ اموراً انا اعلم بها من سواي

روبر وهل تذكران ريموند سعى في معرفة قاتل الاميرة ايزابل والبحث عن مكان الامير سيمون · فذهبت مساعيه ادراج الرياح · ثم لم تمضِ اعوام الاّ سقط في النهر اموري الصغير ابن الامير · فقضى فريسة الاسماك · فتظاهر ريموند بالغم والحسرة · ولكن لم تنطلِ الحيلة على الاهلين بل اجمعوا على انه هو الساعي بالشروان كلما المّ بعائلة الامير كان من دواهي ريموند الغدّار . وترى الجميع يدعون عليه بالويلات

هوك أنّى لك مثل هذا البيان وما عهدي بك ذلق اللسان

روبر لكن ريموند لا يعبأ بما يقولون ولا بما يرغبون · بل تراه تربّع في دَست الامارة . وقد اصبح بيده زمام الاحكام . بعد ان كان ذليلاً تنبو عنه العيون وتعرض الوجوه باسرةً · فوارحمتاه على من ذهبوا ضحيّة مطامعه

هوك قاتلك الله يا بريد الشؤم . فهل قمت لتؤبّن الموتى وتدعو على الاحياء

روبر اياك ان تنمّ بما سمعت مني

هوك لا تخفْ . فان دري ريموند بمداعبتك لا يقطع الاّ رأسك

روبر لا وأبيك فما انا في غنى عن رأسي

هوك منهم مَن لا فائدة له برأسه ... لكن اين هذه الحكاية من الفارس الاسود الذي ارعد فرائصك

روبر هاك الامر . فان جوفروا صاحب الشُرَط كان متغيبًا في مهمّة . فلما عاد قيل له ان الامير هجر الديار بعد مقتل الاميرة . فسار جوفروا في طلبه . وانقطعت عنّا اخباره . ولا ريب انه هلك في اسفاره وهذه روحه جاءت تكدّر موارد العيش علينا

هوك أقاصيص عجائز

روبر الا تزال في ريب . ما السبيل الى اقناعك . لو كنت رايته مرّ منذ هنيهة (ينظر الى الخارج فيرى الفارس فيجفل) انظرْ الا تراه على ضفّة النهر

هوك (ينظر الى حيث يشير روبر) بلى . فهيّا بنا نطارده

روبر لا وأبي . لا تحكّك العقرب بالأفعى

هوك امّا انا فلست اخشاه ولو كان من الابالس

روبر وانا اتبعك عن بُعد لأرى ما هو فاعل بك (يخرج هوك

بجرأة ويتبعه روبر حذرًا)[١]

المشهد الثالث

ريموند راعول (يدخلان من الجهة المقابلة)

ريموند بالصواب نطقتَ ياراعول · فقد طال بي التردُّد بشان الامير سيمون · ابقيتُ عليه في سجني وكنت احسبني في مأمن من غدرات الزمان لا اخشى صلود الزَند ولا صدود الجدّ . ولقد راعني اليوم هبوب الدهر بغدره وانقلاب المجَنّ لظهره

---

(١) من هذا المشهد عرفنا اخلاق هوك ورو بر. فالاول من اهل الادّعاء يتظاهر بانه لا يصدّق ولا يعباء بشيء ولا يجاري الغير في رايهم · والثاني خفيف الحلم ضعيف القلب قد اخذ منه الخوف لمرأى الفارس الاسود فلا يلهج الا به · وكلامه عند دخوله دليل على انه يحسب الجميع مثله لا يرون ولا يسمعون الا الفارس ·ومعاكسة هوك له من الطف الوسائل الطبيعية لشرح سوابق الواقعة · لاسيما وان رو بر من القوم الذين يغتنمون اقلّ فرصة للخوض في الكلام وافراغ جعبة اخبارهم ولمسرارهم · فانه حفظه الله ما لبث ان اوقفنا على دخيلة الحال من اشتراك ريموند وراعول وجرار في الخيانة · فعرفنا ان الاميرة ايزابل قتلت والامير سيمون اختفى والامير اموري ولدها غاب ايضًا وجوفروا الخادم الامين سافر ينشد مولاه · فتسهّل لريموند الاستقلال بالسيادة بعد ان كان حقيرًا ذليلاً

راعول غفلتَ عن الزمان ولم يغفل . تمكّنتَ من الامير سيمون فالقيته في اعماق السجون . لكنك ابقيت عليه رجاء ان يرضخ لصوتك فتحصل منه على صكٍّ ناطق بالتخلّي لك دون سواك عن كلِّ ما ملكت يده

ريموند لكنه اصلب من الحديد فلا يلين

راعول ولا رجاء ان يلين ويرجع عن عناده . ولم يعد الى الصبر مجال لا سيما وقد طلع علينا الفارس الاسود . وكأني به نذيراً بالويل . ولا بدّ من استئصال الشر قبل ان يستفحل الامر

ريموند ارى خلل الرماد وميض نارٍ . ولا بدَّ من تلافي استعارها . على اني لست من يتخلّى عن فريستي ولو تألّبت عليّ اهل الارض . وما كنت لأرضى بالذل بعد ان فعلتُ ما فعلت في سبيل غايتي . وويلٌ لمن يعارض مقصدي

يا من قد رام معاندتي | سلْ عن جوفروا في خيبتهِ
قد سافر ينشد سيده | فإلى حيثما في سفرتهِ
امَّا سيمون فملكُ يديـ | ـي في ضيق السجن وكربتهِ
يا ويله طالت غفلتهُ | سأُنبّههُ من غفلتهِ

ارتاح اليَّ وقرَّبني   وانا انا قاتل زوجتهِ
وانا اوقعته في شركي   وانا الساعي ببليَّتهِ
فلئن يندمْ فندامته   لا تنفعه في محنتهِ
او يدعُ فليس له فرجٌ   في غير الموت ورحمتهِ
فافوز انا بامارته   وبكأس العزِّ وسكرته

هوك مثلك يا مولاي من يبلغ العلى بهمَّته القعساء · فها انت الامير المسوَّد واعداؤُك لعبت بهم ايدي سبا · فالاميرة ايزابل رمَّت عظامها تحت الثرى · والامير سيمون في اعماق السجون يئنُّ ولا من يسمع و يشكو ولا من يرحم · وجوفروا عبده الامين يضرب في البلاد يسائل عن مولاه ولا يعود واياه الامتى عاد القارظان [(1)]

ريموند (فيهمّ وحيرة) ان اسعدني الدهر في شان سيمون وجوفروا فإني لا ازال انقلَّى على جمر الغضا · فلا يصفو لي عيش ولا يطيب لي مقام او تنجلي الغوامض فأعرف من هو

---

(١) الآن تأكد لنا من اقرار ريموند وهوك ما كنا نعتبره من فم روبر اشاعات ربما لا تتجاوز من الوهم · واهتدينا الى مقرّ الامير سيمون في اعماق السجون · ووضحت لنا مقاصد ريموند الشرير · فانه ما ارتكب الجرائم الا طمعاً في الامارة · وما ابقى على سيمون الا رغبة في الحصول منه على صك ناطق له «ريموند» بالحقوق على الامارة لا ينازعه فيها منازع

اموري . لما فشا الوباء في هذه الديار أُرسل ولدي
وابن الامير سيمون مع مرضع الى غير هذه الربوع
فرارًا من الوباء . فمات احد الطفلين وكلٌّ منهما يُدعى
اموري . وقد جنّت المرضع فلم اكُ اعرف مَن الطفل
الحيّ . اهو ابن سيمون ام هو ولدي وحشاشتي . ابقيته
رهينًا في قصري فلا يخرج منه الا قتيلاً ام عزيزًا
مكرَّمًا . آه من لي بكشف السرّ وجلاء الغامض . . .
لا يعلم الحقيقة الا المرضع وابنها ايمار الملاّح . فتلك
مجنونة وهذا لا يبوح بالسر

راعول	ولِمَ لا تتخذ الوسائل فتستطلعه حقيقة الامر

ريموند	لحاه الله ما اثبت جنانه . فلم ادَّخر وسعًا كي احمله على
الاقرار ولكن لا الوعد يغرُّه ولا الوعيد يثنيه

راعول	وعلى مَ تعتمد فهل تصبر على عناده

ريموند	لا وحقّي فقد عيل اصطباري . . . ولكن ما السبيل

راعول	انا لها . فدعني القى ايمار الملاّح واستطلعه الحقيقة .
فمع الخواطىء سهمٌ صائب

ريموند	لا تبخل عليه بشيء وعُدْ اليّ بالخبر اليقين . فانِ بقي
مصرًّا على عنادهِ الحقته باجداده . فلم يعُدْ الى

التأجيل سبيل (١)

راعول لا سيما وقد طلع علينا الفارس الاسود

ريموند الفارس الاسود اضحى ملء المسامع والافواه فلا شغل للناس بغيره · وكلٌّ يزعم انه رآه · وقد اجمعوا على وصفه انه بلباس اسود ولحيته سوداء وقدغاص بالحديد

راعول وزعم من رآه انه اشبه بجوفروا صاحب الشُّرَط لعهد الامير سيمون

ريموند ايًّا من كان · فارسًا ام خيالاً توهَّموه · فاني اسيرٌ من يقبض عليه ان كان من الاحياء او يردُّه الى قبره ان كان من عالم الاموات

راعول وما ادرانا انه ليس جوفروا بعينه وقد يئس من لقاء الامير سيمون . فعاد متنكِّرًا يستقصي الاخبار · علَّه ان يهتدي الى معرفة الواقع

ريموند جوفروا بعينه عاد متنكِّرًا يستقصي الاخبار ؟ ساء فأله

---

(١) يلذّنا ان نرى اشتباك الاحوال مذ داخلنا الريب في شان اموري واصبحنا نعلل النفس ببقائه حيًّا · ويسرنا ان ريموند الشقي يقاسي من الريب اهوالاً · فيخشى ان يقتل ولده بقتل اموري · ويصعب عليه اعزاز من ربما يكون ابن عدوه · وترتاح نفوسنا الى اثار الملاح الذي يسبب لريموند هذا العذاب والذي نرجو منه نصيرًا للمظلوم

فليس يهتدي بل يلحق بمولاه

راعول على اني ارى ولده جرار تغيرت حاله · وقد تصفحت صفحات محيّاه فقرأت فيها الجزع والاضطراب الشديد ·فكانه ندم على ما بدا منه وخاف سوء العقبى فعدل عن مجاراتنا الى معاندتنا فيكون عقبةً في سبيلنا

ريموند (بازدراء) يده اقصر من ذلك

راعول على انه قد ظهر ...

ريموند (يقاطعه) لا تطع في شانه داعية الريب · فما هو الا يأتمر بامري وقد ارسلت ادعوه · وهو لا يلبث ان يحضر· فسر انت الى ايمار الملاّح · وهذه نهزة صيد فشمّر عن يدٍ وأيدٍ (١)

راعول ومثلي لا يحيد عن الكيد فيرجع بلا صيد (يخرج)

---

(١) لقد زاد تشوقنا مذ خطر لنا ان الفارس الاسود ربما يكون جوفروا بعينه فتتوق انفسنا الى معرفة ما كان وما يكون بين جرار وابيه · ولقد زاد اشتباك الاحوال · لكن استخفاف ريموند بكل هذه الاقاويل يحملنا نحن ايضاً على بعض الاستخفاف بها

المشهد الرابع

ريموند ثم جرار

ريموند قاتلَ الله الزمان . فقد جرَّبني في زمَني رخائه وبوسه. ولقيني بوجهَي بشره وعبوسه · تقاضاني دهري ما أَسلف واستأنف بي خلاف ما سلَّف

جرار (في حالة اليأس والانحطاط) ارسلتَ تدعوني يا ريموند

ريموند لامرٍ ذي بال

جرار وما يكون

ريموند لقد كنّا يداً واحدةً في العمل · فركبنا مركباً خشناً كيما نمتطي المجد · وها قد مضى علينا عشرسنوات في جهاد مستمرّ ولم يستثبت لنا الامر فكأن الدهر ابى الا محاربتنا . فما فتحنا باباً الاّ سدَّ في وجهنا ابواباً · ولا رفعنا حاجزاً الا اقام حواجز تحول بيننا وبين ما نطلب . فارانا بعد عشرة اعوام كأنَّا لم نخطُ خطوةً في سبيل النجاح

جرار (خافتاً) وايّ حاجز حال اليوم دون امانيك[1]

---

(١) فيما مضى كان يقول « امانينا » اما الان فيحاول التملص من تبعة الماضي فيقول « امانيك »

ريمود الم تسمع بالفارس الاسود وظهوره الغريب

جرار (يشتد ما به) الفارس الاسود . . هو . . . دائمًا هو

ريموند لقد ابقينا على الامير سيمون لآمال عللنا بها النفس . فلم يعدْ من سبيل ان يبقى حيًا . ولا بدّ ان يموت كما هو ميت في اعتقاد الناس . لئلا نقع في شرِّ النوائب

جرار وايُّ النوائب

ريموند الا ترى في الفارس الاسود نذيرًا ينبّهنا الى اعدام من لا نأمن الغوائل من وجوده

جرار (على حدة) لعن الله ساعة كنت لك شريكًا في الخيانة

ريموند اراك لا تفوه بكلمة فما رايك

جرار لا تعجّل فتندم . بل استبقِ السجين الى ان نقف على جليّة امر الفارس الاسود . ثم ترى في ما تفعل . وليس يفوتك قتل السجين متى شئت

ريموند يتحتّم علينا ان نستنشر خبر الفارس الاسود من مدارج الطيّ . ولو لفّع وجهه بردائه ونكّر شخصه لدهائه . فلا يهدأ لي بال ما لم استشفّ ما يخفيه . ولكن لا بدّ من مداركة امر السجين . فعساه ان يرضخ الى ما نطلب

جرار لله ابوه فهو اصلب من الجلمود يلين الحديد ولا يلين ·
فليس يستبيح ان يحرم ولده ذرَّة من املاكه

ريمود الا ينفكُّ يبكي على الميت . قل له ان ابنه في لجَّة النهر دفين · ولم يبقَ له من رجاء

جرار لست ادري ما يحمله على الرجاء · واني اخاله يذكرُ في نومه جوفروا صاحب شرَطه . و يدعوه في أَحلامه الى نجدته · فكانه على يقين ان جوفروا لا يتخلَّف عن نجدته

ريموند (يتظاهر بالهزء والازدراء وعدم المبالاة) لقد اسمعتَ لو ناديت حياً

جرار وتراه يحنُّ الى ولده اموري و يعلّل النفس بلقائه .وطالما تمثَّل شخصه فامسى يناجيه

ريموند (باضطراب) ولدهُ . . . ولدهُ . . . ان الغلام سيكون علَّة شقائي او نعيمي . . . آه اموري . اموري . . . ابن سيمون ام ابن ريموند . . . لعن الله تلك المرضع التي وُكل اليها امر الغلامين . . . . . .ما هـذه المشاكل المعضلة . . . لا بدَّ لي من ادراك الحقيقة . لا بد لي (يخرج متهيجاً)[1]

(١) تهيج ريموند وعزمه على فضّ المسالة عاجلاً يلقي فينا الخوف

المشهد الخامس

(جرار يزيد قنوطاً وانحطاطاً)

جرار الفارس الاسود . . كلٌّ يذكره ويتوقّع منه شاناً خطيراً . . .
ايان كنتُ تمثّل لي شخصه . . . وكاني به ينظر اليَّ
مغضباً . يؤنبني على ما اتيت من المنكر

تبّاً لفعلك يا زمانُ فقد غدت اسياف خطبك في فواد دي تُغمدُ
البستني ثوب الهوان وسمتني ذلاً على اني العزيز الامجدُ
ومن العجائب ان اذلّ وهمّتي عنت الجبال لها ودان الفرقدُ
قد كنت اغشى الحرب لا اخشى الردى
حتي غدوت لكلّ امرٍ ارعدُ
فبقيتُ ارسف في قيودي حائراً اشكو ووجهي بالمعاصي اسودُ

فيا لها ساعةَ شؤم فيها اصغتُ الى صوت ابليس . فانخرطتُ
في سلك المؤتمرين وسعيت في الامير سيمون وقرينته
وولده اموزسي . وما كانوا الا ملائكة الرحمة . وحملتُ
والدي جوفروا على مشاقّ الاسفار واهوال الاخطار .

سيما وقد علمنا من ثبات سيمون في الاباء ما يجعلنا مع اعتبارنا لشهامته نخشى عليه الغوائل . ولكن يأخذ منا الرجاء كانسا نأنس مثله باخلاصه وآماله نعلل النفس بانه يلقى نصيراً يخلصه ويردّ عليه ولده

وإنْ هو الاّ عنوان الفضل والشهامة ... دَنَّستُ عِرضه ودستُ شرف عائلتي · ضحَّيتُ الجميع على مذابح المطامع ... وها انا اجرُّ ذيول الشقاء واتمرَّغ على تربِ الهوان · فلا يقرُّ لي قرار

المشهد السادس

جرار · راعول

راعول ويكَ جرار أتُرى تخيب آمالنا

جرار وما هي آمالنا

راعول اوَنسيتَ أنَّنا ننتهز فرصةً لنشوي في الحريق سمكتنا[1]

جرار العبدُ في التفكير والربُّ في التدبير

راعول ما عهدي بك تنطِق بالحِكَم

جرار لقد عجمتُ عود الايام، ووقفتُ على حقيقة الدُّنيا . فأُفٍّ لها ما اكدرَ صافيها وأخيبَ راجيها وانغصَ لذَّاتِها وملاهيها ... يسعى الخائن ويجدُّ الشرّير · ويبارز بمعصيته مالك ناصيته · طمعاً في برقٍ شامَهُ .. فلا يرعى حُرمةً ولا يلوي على عنان · حتى اذا استبشر

(١) لقد عرفنا لوءم راعول الذي يخدم غايات الشرير طمعاً في ان يشوي في الحريق سمكته

يبلوغ المَرام . نفرتْ منه الايَّام . واصبحتْ تلك البوارق وهي صواعق

راعول لحاك الله . فهل آليتَ على نفسك أنْ تَستنزف روحي بمواعظك . ام تولّاك الخوف والندم

جرار لاتَ ساعةَ مندمٍ

راعول وزِدْ أنه لم يعُدْ في الإمكان الاحجام . ولا بدَّ من الإقدام على عظائم الامور . فلا يمتطي المجدَ من لم يركبِ الخطرَ

جرار قد قيل : من ارتقى مدارج المجد على رؤوس دامية زلّت به القدم

راعول لا ادري ما حلَّ بك . فقد غدوتَ كغُراب البَين تُنذِر بالويل والخراب . ولستُ انا على شاكلتك . ولكنّي ابرَح عنك ليخلو لك الجوّ . فعساك ان تعود الى نفسك وتجد سبيلاً الى الراحة (يخرج)

المشهد السابع

جرار (بمرارة وحرقة)

الراحة ؟ . . . واينَ الراحة من الاثيم . . . إنّ في

ظُلمات قلبي نارًا تأَجّجَ سعيرها..لقد وضح لي انه فوق الشرّير يبرق سيف النّقمة · وفي فؤَاده يرعد صوت العدالة الرهيب ··· اراني في ذُروة المجد متقلّبًا على الورد النضير · وفي احشاي شوك القتاد · وفي الصّدر أفاعٍ تنهش قلبي ··· تحنُّ نفسي الى بعضِ الراحة ··· وهي بعيدة منّي ··· اسعى وراءَها ··· وما كانت الاّ لتنفِر منّي ··· وقد نبا عنّي خلاّني ··· وجفاني اهلي وإِخواني···

ما حيلتي ضاقتْ عليَّ مذاهبي
ورَستْ على رأسي شجوني كالجبَلْ
و يلاَهُ إنَّ الموتَ صابٌ علقمٌ
لكنَّهُ في مِثلِ حالي كالعسَلْ(١)

المشهد الثامن

جرار · الفارس الاسود (على راسه الخوذة وعلى وجهه النقاب)

الفارس (بجلال) دَعْ عنكَ يا غدّارُ نوحَ النادباتِ

جرار (وقد ارتاع من هجوم الفارس) فَمَنْ تكونُ

الفارس رسولَ قاضٍ أَعظمٍ

(١) حالة جرار تحزن قلوبنا وتعظنا · فاننا نعتبر بها فلا نقدم على الجرائم مخافة ان ينالنا ما ناله

جرار رَبَّاهُ

الفارس أَينَ تَفِرُّ مِن غضَبي

جرار (خائر القوى) كَفى

الفارس فلأَجعلنَّكَ عِبْرةً

جرار بَلْ فارْحَمِ

الفارس أَرَحِمتَ انتَ نفوسَ مَن ضَحَّيتَهم بخيانةٍ

جرار وارحمتاهُ عليهمِ

الفارس فلَئنْ قضَوا فهمُ الكرام وان تكنْ
حيًّا فبئسَ العيشُ عيشُ المجرمِ

جرار والهفَ نفسي

الفارس يا شقي هلاّ ازدجرْتَ فتنتهي حتى متي والى كمِ

جرار ما حيلتي

الفارس يامن سفكتَ دماً زكيًّا طاهراً اغسل ذنوبكَ بالدمِ [1]

---

(١) لقد ذبنا شوقًا الى مرأى الفارس الاسود فبدا لنا كما كنا نتوقعه في مظهر العظمة ٠ وزاده رفعة في اعيننا وزادنا تشوقًا الى استجلاء خبره ما سمعناه من كلامه ٠ فبتنا نشفق من وقوع امر خطير بينه وبين جرار فضلاً عما نتوقعه منه بشان ريموند وسيمون ٠ وكذلك ثبت لنا من منظره ما كنا نسمع من وصف هيئته وتاكدنا ما كان خطر ببالنا عن سبب تسميته بالفارس الاسود فما انتهى الفصل حتي عرفنا مكان الواقعة وسوابقها

الفصل الثاني

يمثل المرسح سجنا

١ يمينا باب لمقصورة السجين — شمالاً مدخل السرب الخفي

٢ « باب سرّي

٣ من جهة الى اخري قناطر واعمدة يجمع بينها قضبان حديدية متعارضة · وفي اوسطها باب الى مراكز الخفراء

سيمون · دانيال · ريموند · ايمار · جرار
الفارس الاسود · قاتلان · صوت من الخارج

المشهد الاول

سيمون (كسير الفؤاد)

ليتَ شعري ·أَيصحُّ فالي وابلغ آمالي · فأَجتمعَ بوحيدي

والاشخاص واخلاقهم ومقاصدهم · من ظهروا منهم للعيان ومن لم يظهروا · واشتبكت الاحوال وعظم الامر حتى بتنا لا نصبر عن معرفة اللواحق · ونتمنى لو نرى سيمون فنملأ منه العيون ونعلم ما تكون حاله عند دخول ريموند عليه مصمماً النية على فض المشكل · كما نرغب في الوقوف على ما يجري بين الفارس وجرار

اموري· قلبي يحدِّثني بأن تتحقّق امانيّ · ففي هذه الايام عاد اليَّ الرجاء. بعد أن كان اخذ منّي اليأس · انا الاميرَ سيمون سليلَ امراء مونفور · انا معزّي الحزين وجابرَ الكسير ومغيثَ الملهوف · قضيتُ في اعماق سجني عشراً من السنين . وكرسيُّ مجدي حجر اصمّ . وحلّة الامارة أسمال بالية · وجواهري قيود لا ترحم · ولم اجد من يرثي لحالي فيبرّد غليلي بذكر حبيبي اموري · وما كنت ارى سوى وجوهٍ باسرة واعينٍ يطير منها الشرر · ولا اسمع الّا الوعد والوعيد ··· فحبّذا القيود · وحبّذا العذاب والأهوال . إن عادتْ على وحيدي بالراحة والهناء ... لعمري انّ ايمار الملاّح تمكّن في هذه الايام من معرفة مقرّي . فولج اليّ وبلّغني الاخبار مرّةً بعد مرّة. فأنبأني ان ابني اموري حيّ يرزَق. فأنعش فؤادي وهوّن عليّ ما أكابد من الاهوال وصيّر الظلام في عيني ضياءً · وحوّل سجني الى فردوس النعيم ··· اني احييك يا جدران سجني · فما بينك عاد اليّ الامل وعادت الروح ... انبأني ايمار انه يسعى مع الفارس الاسود في خلاصي ليردّا عليّ ولدي فيتمّ نعيمي · وانه ما ثبّط قومي

عن نجدتي الاّ جهلهم بقائي في عالم الاحياء ... لله ابوك يا ايمار فانتَ كريم الاصل عالي الهمّة . حكيتَ عن اجدادك الامانة والشهامة . فرحمَ الله ابًا اتى بمثلك ولدًا ولا عدمنك المروءة من فتىً ... امّا انت ايها الفارس الاسود فمن تكون وما حداك الى الاخذ بناصري والتفاني في سبيلي لتجمعني بولدي ... حييتَ ايها الفارس ايًّا من كنت . ووفقني الرحمان الى شكرِ جميلكَ بما انت اهله فبهمّتكَ اتمتّع بلذّة الحرّيّة واجتمع بوحيدي . سقى الله ساعاتِ اللقاء (يدخل السجان دانيال ويتمشى وراء القضبان الحديدية فينتبض سيمون بعد الانتعاش كأنه افاق من حلم لطيف)

خلِّ عنك الاحلام يا سيمون . فقد اخذ منك الوهم فتهتَ في بيداء الآمال وعللتَ النفس بالاماني الفارغة وغفلتَ عن انك في شرّ الحبوس بينَ مخالبِ الذئابِ الخاطفة . ودونَ الوصولِ الى وحيدِكَ اموري مشاقٌ واهوال . غرّكَ بارق الاملِ وما كان الاّ برقًا خُلّبًا . فعُدْ الى نفسكَ واخفِض من الاماني . فما ادراك انّ ابنك حيٌّ . وكيف يسلم بين الوحوشِ الكاسرة ... واحرقتي ان كان مضى وحيدي من عالم الاحياء . فما حياتي

بعده والحياةُ ذميمة ... أيْ ربّي لولا بعضُ الاملِ

لمتُّ كمدًا في هذا السجن[1]

(غناء على وزن : حنوا على البائس المسكين واكتسبوا)

جيشُ البلايا عليَّ استلَّ ابترهُ

والدهرُ قد شكَّ في الاحشاء اسمرهُ

والهمُّ انحلَني والبينُ البسَني

ثوبًا منَ السقمِ فيَّ بانَ اصفرهُ

حاقتْ بيَ الاكدارُ ولمْ يعُد لي من رجاء

كأنَّما الاقـدارُ خصتْ فؤادي بالشقاء

---

(١) لقد بلغنا الارب من مشاهدة السجين . وطابت قلوبنا اذ استهل كلامه برجاء العظيم في الخلاص . وايم الله ما اضيق العيش لولا فسحة الامل . فنحن ننسى مع سيمون كلّما قاسي من الاهوال ونعلل النفس بامانيه . وتميل خواطرنا مع خاطره الى ايار الذي ثبتت لنا الان مروّته واخلاصه . ونتشوق ايضًا مع سيمون الى معرفة الفارس الاسود . وعلى كلٍّ فانا نحيي في هذا الرجل العجيب نصيرًا كريمًا . ولكن دخول السجان دانيال يهدم ما بنينا من صروح الآمـال . فنعود الى الاكدار واليأس — وما احسن ما كان هذا الدخول فانه يقصر من طول المشهد فضلاً عن انه يغير مجرى الافكار من لذة الاماني الى انقباض الصدر والخوف

مُذ غابَ بدْري عن مُقلتي
قدْ ضاعَ صبْري واُمهْجتي
ففي فؤادي النارُ والعينُ جادتْ بالدِّماء

المشهد الثاني

سيمون · دانيال (يدخل متأففاً)

دانيال كفاك تنوح يا هذا · فقد كاد يُنصف الليل وانت في ندْبٍ ونُواج · فارجِعْ الى مكانك واطلُبْ لنفسك الراحة · فما كنتُ لاسامرك في ليلك واُجاريك في النواح · فقد اخذ منّي النعاس (يشتغل باغلاق الابواب)

سيمون
بيني وبينكَ يا أَليفَ المرقدِ بونٌ كما بينَ الثّرى والفرقدِ
انتَ الخليُّ تبيتُ ليلَكَ ناعماً وانا اُحثْراقي طولَ ليلي مُسهدي
لا بِدْعَ انْ هجرَ الكرَى جفني وقدْ
غابَ الحبيبُ ولمْ يعُدْ من موعدِ

دانيال (بضجر) لا ردَّهُ القدَرُ

سيمون واحرَّ قلباهُ قد ضاقتْ بيَ السبلُ
فالرَّيبُ اعظمُ ما يُبلى بهِ الرجلُ

فالقلبُ في حرَقٍ والدمعُ في شرَقٍ
والعينُ قد اصبحتْ بالجمرِ تكتحلُ
قدْ كنتُ ارجو بانَّ الدهرَ يُنصفني
ممَّا لقيتُ فخابَ السعيُ والاملُ
مالي اصطبارٌ على بعدِ الحبيبِ ولا
يُرجى سلوٌّ اذا لمْ يقصُرِ الاجلُ
(يدخل مقصورته متثاقلاً في مشيته)

المشهد الثالث

دانيال

لستُ ادري من يكون هذا الرجل · فقد مضى عليه عشرُ سنوات في السجن وما لهُ من شغلٍ سوى البكاء والنحيب . وكأَنّي به يذكر ولده . فحيناً يدعوهُ ويرجو لقاءه وحيناً يندبه و يبكيه · واحياناً ينادي الاموات الى نجدته · حتى براهُ السقمُ · · · فليته يقضي بقتله فأُكفى مؤُونة السهر عليه والصبر على نواحه · · · · ولكنني بموته أُحرَم الاصفر الرنَّان · · · فانَّ ريموند يعلِّق على حياة السجين اهميَّة كبرى · وطالما كان لها حديث

وشأن . وقد بلغني أنَّ ريموند يزورني في هذه الليلة ...
فما غايته في دجى الظلماء . لا ريب أنَّ اموراً غريبة
اقلقت الناس في هذه الايَّام واشغلت الخواطر ... انا
في هذا السجن معتزل عن الجميع ولا علمَ لي بشيءٍ .
ولستُ واقفاً على جليَّة الامر ... لكنني لستُ بأَبْلَه .
ففيَّ من الذكاء ما جعلني اتوقَّع حوادث ذاتَ بال .
فضلاً عن انَّ هذه السجون علَّمتني ضروب السياسة
واوقفتني على دِخلة شؤُون البلاد ... الآَ يا دانيال
ما همُّك بما يجري على شَرْط اَن يسلم جلدك ... من
شاءَ فليحيَ ومن شاءَ مات ... لكن يا دانيال انْ اصاب
السجين مكروه حُرمت الاموال الطائلة ولا [1] ...

ريموند (من الخارج) دانيال . دانيال

دانيال (برعشة وقد قطع النداء مجرى افكاره) الامير بعينه
(يفتح باب الحديد مكثراً من الاحترام الفائق)

---

(١) لقد عرَّفنا دانيال ما انطوت عليه سريرته . فانه ليس بشرير ولو سمعناه يتضجر . ولكنه حفظه الله لا تهزّه عاطفة الشهامة . وان اخذ منه الفضول احياناً او حبُّ التدخل في الشؤُون نراه ينكص في الحال . ولا همَّ له سوى ان يسلم جلده ويسمن كيسه

المشهد الرابع

دانيال · ريموند

دانيال اصلح الله الامير

ريموند (عبوساً) ما حال السجين

دانيال لم يزلْ اليف السهاد يبكي وينوح

سيمون (من داخل مقصورته)

لمن اشكو المصابَ وقد دهاني زماني بالشقـا بعدَ التهاني

سطتْ ايدي الزمان على فؤَادي بطعنٍ دونهُ وخز السنانِ

الهي ليس غيركَ لي رجاءٌ اعنّي انَّ حزني قد براني

ريموند (بكيد) ينجيك من قبضتي ان تمكّن · دانيال عليَّ بالسجين

(يدخل دانيال غرفة السجين فيمشي ريموند مضطرباً)

دخلتُ السجن بعزمٍ من حديد وقلبٍ لا يلين · فخارت منّي العزائم ... انا ريموند من لا يهاب الموت ولا يبالي بالجنّ والابالس يعتريني الوهنُ اذا ما دانيت هذا الرجل · .. فلا اخاله الاّ ساحرًا يسطو عليَّ وهو ضعيف · واتهيبه وهو عاجزٌ ذليل وانا السيد القدير ... انمَّا لا بدَّ من التجلُّد · فالمقام حرج

المشهد الخامس

ريموند . سيمون

(بعد ادخال السجين يخرج دانيال من الباب الحديدي خائفاً)

ريموند (متكلفاً الانس واللطف) جئتُك بالبشرى ايُّها السجين

سيمون (ببرارة) اوَ انقضى أَجل الشقاء وحان الموت . فياموتُ زُرْ

ريموند دَع ذكر الموت يا مولاي فما انا الاّ ابشِّرك بالخلاص

سيمون أَما كفاك ما الحقت بي من الاهانة والنكال فجئت تسخَر بي

ريموند لا وحقّي يا مولاي فما انا من يسخر بك . بل جئتُ انزع قيودك وأُعيدك الى سالف مجدك

سيمون (في ريب واندهال) وما حداك الى هذا العمل . وما عهدي بك ابا المكارم

ريموند رجعتُ عمّا فرط مني

سيمون (بهشاشة) ان صحّ ما تقول فانت كريم الاصل استهواك اهل الطمع . ولكنك عدت الى طيب أَعراقك فجريتَ بما يقتضيه شرف محتدك . فدتك نفسي فهل تُطلِق سبيلي وتجمعني بولدي اموري

ريموند (بتأنٍ) أفعلُ

سيمون بحياتك ما حلَّ بوحيدي . هل يتسنَّى لي ان اراه·
ناشدتُك المروَّة فهل اعود الى الحرّية · هل ترى عيني
النور واضمُّ ولدي الى صدري

ريموند لك كلُّ ما ترغب

سيمون رددتَ عليَّ روحي وأحييت نفسي · فليتني اقوى على
مجازاتك اوْلى جزاء

ريموند (وكان منتظرًا هذه النتيجة) لا يتعذَّر عليك ذلك

سيمون (بحماسة) قُل· ما تطلب

ريموند (بدهاء) اقلَّ الاشياء

سيمون وما يكون

ريموند توقيع اسمك على صكّ التخلي عن امارة مونفور لي انـا
ريموند

سيمون (كمن لدغته افعى) آه يالئيم · اتيتَني من باب الخداع اذ
لم ينجع الوعيد فعلَّلتَني بالاماني لتبلغ المرام

ريموند (ببرودة) فبِمَ تُجيب

سيمون (بحماسة) كلاَّ ثُم كلاَّ · لا الوعد يغرُّني ولا الوعيد يثنيني

ريمود الا تزال على عنادك مصرًّا على الإباء

سيمون ابى الله ان احرِم ولدي ممّا ورثتهُ عن اجدادي

ريموند دع عنك الاوهام · فولدك في لجّة النهر دفين

سيمون كاذب

ريموند (بهزء مع بعض الحدّة) اويخطر لك انّي ابقيتُ على خصمي او رضيتُ بان يكون لي في الامارة منازعٌ ومزاحم

سيمون وهل مثلي يتخلّى عن امارة رفع منارها آلُ مونفور الكرام الى وغد لئيم غاص في حمأَة الدنايا · لا ولو قُطّعتُ اِرَبًا

ريموند (بغيظ) حذارِ فقد عيل صبري

سيمون (بحرقة) ما اعهده فيك من اللؤم والدناءة لم يترك لي من رجاء · وانا على يقين من انّ نفسك الخبيثة سوّلت لك قتل وحيدي تخلّصاً من مزاحم · قتلتهُ قاتلك الله · فلم يعد لي بعده مطمع في الحياة . فأَنصت الى كلماتي الاخيرة · (بعظمة) ريموند ريموند استهواك شيطان الطمع وغفلت عن انّ في العلاء ربًا قديرًا وقاضيًا عادلاً رهيبًا · يرقب اعمالك ويحصي آثامك وليس يتخلّى للظالم عن المظلوم · والويل لك اذا ما طفح كأس الآثام · الويل لك · ريموند ريموند بحضرة الجبّار الشاهد الوحيد على ما يجري في هذا المكان · ما انت الاّ عبدي

وانا كنتُ ولا ازال سيّدك امير مونفور · لقد طالما اغضيت عن القذى وصبرتُ على سيّآتك · رجاء أنْ تحنو على وحيدي وتُكرِم مثواهُ. طالما تناسيتُ فظائعك كرَمًا لولدي · امّا الآن وانا على شفير قبري فأرفع صوتي (بمنتهى العظمة والتأني) وبحضرة الجبّار العظيم العنُكَ (يدخل سجنه على مهل وجلال)[1]

المشهد السادس

ريموند

(يكون مدة خطاب سيمون في خوف متزايد · وعند اللعنة يرتعد كمن انقضت عليه صاعقة · فيبقى حصةً على هذه الحال ثم يعود الي نفسه لاهثًا)

لعنني · · · فعليه لعنةُ الابالس · لقد هالني مرآه .وراعني كلامه فاقشعرّت اعضائي واخذ مني الرعب (يتمشى على

(١) خفنا على سيمون من وعيد ريموند في الفصل الاول · فكيف بنا الان وقد رايناه الشقي داخلاً كالنمر ليفتك بفريسته · ولكن سكن روعنا ما راينا من ثبات سيمون واِبائه. فانه لم يغترّ بالوعد ولم يذعن للوعيد بل سحق بلعنته عدوّه الغدّار . فاعظمنا شانه ومرّ بخاطرنا قول من قال : الحق يعلو ولا يعلى عليه · وعند المقابلة بين حال كلٍ من الفريقين ادركنا معني من قال : فخر الرجال سلاسل وقيود

مهل مضطرباً ثم يتمالك رويداً رويداً فيتكلف التبسم والاستخفاف) اخذَ منك الرعب يا ريوند ؟ امرٌ يُضحك الثكلى · اصابك ما يُصيب العجائز · وما هو الاّ وَهم عراك ... مثلك يُقدِم على عظائم الامور وتُخيفه لعنةُ رجل عاجز ... (بتهيج) وما تفعل اللّعنات ؟ انما الفعل لحدّ الحسام · فالعَن ما شئتَ يـا وجه النحس · واتنقذك اللعنات من قبضتي · فقد حانت منيتك (ينادي) دانيال

المشهد السابع

ريموند · دانيال (يدخل واجفاً)

دانيال مولاي

ريموند ايّاك انْ تغفل عن السجين · وانّي مُرسِل لك في الحين مَن يُجهز عليه و يطرحه طعاماً للاسماك

دانيال لك الامر على العبد

ريموند (يرشق السجين بنظرات يطير منها الشرر) أَشفي منك الغليل (يخرج) (١)

(١) لقد اشتد قلقنا مما صارت اليه الحال وخشينا على سيمون شرّ الغائلة ودعونا الله الى نجدته. وتمنينا لو يدري الفارس وأيمار بالواقع فيبادرَ الى انقاذه كما علاه وعلانا

المشهد الثامن

دانيال (بصوت خافت)

لقد هالني انقلاب سحنتَه وتَطايُر الشرَر من عينيه ...
فما ظَنّيَ الاَّ انه أَخفقَ سعياً لدى السجين فعزم على قتله...
وأَبي لقد بلغ منّي الخوف مبلغه وعرَتني رِعدة حتى
يئستُ من الحياة . وكنتُ اتوقَّع انقضاض الصاعقة عليَّ
... لكنها انقضَّت على السجين. . . فبروحهِ لا بروحي
(يتمشى في اول المرسح غائصاً في بحار الافكار والتخمينات)

المشهد التاسع

دانيال . ايمار . صوت من الخارج

سيمون من مقصورته

ايمار (لنفسه في اخر المرسح وكان قد تراءى في اثناء المشهد السابع داخلاً من باب السرب) سمعتَ كلَّ شيءٍ يا ايمار فلا بدَّ من مداركة الامر قبلَ فواتهِ ودخول القاتل ليفتُكَ بمولاي . هيّاً فالسجّان وحده[1]

---

(١) اهلاً بك يا ايمار يا بشير الخير . فقد كادت تزهق الروح قبل وصولك. يعزّ علينا يا دانيال ان تموت . ولكن بروحك لا بروح سيمون . فليس الرزيئة فقد مثلك ساقط المروءة. لكن الرزيئة فقد حر مثل سيمون

دانيال (لنفسه) لا يلبَث أَن ياتي مَن يقتل السجين . فليذهب الى حيث . . . (فيما هو يتمشى يرى في ايابه ايمار فينكص)
من اين اتى هــذا الشيطان وما شأنهُ

ايمار من الجحيم ليقبض روحك (يهجم عليه)

دانيال اليَّ اليَّ[1]

ايمار (يخنقه ويرميه وراء الكوليس) كاد يفضحنا هذا الشقيّ

صوت(من الخارج) ويك دانيال ما دهاك

ايمار (محاكيًا صوت دانيال) لا شيء

الصوت ولِمَ صياحُك

ايمار حلمتُ حُلمًا ازعجني

الصوت أَتراءى لك الفارس الاسود فراعك منظره

ايمار هو كما تقول

الصوت إِن عادَ فاستودعهُ السجن واتخذهُ في ليلك سميرًا وادعُنا لنشاطرك الافراح

ايمار أَفعلُ ان شاءَ الله (يقهقه الصوت ضحكاً . يصغي ايمــار فينقطع الصوت) . . . او شك أَن يحبط المسعى . (منشرحًا من

(١) اين مجدك وزهوك يا دانيال اذ كنت تخطر وحدك في السجن فقد هبطت من علو فخرك لما سمعت صوت ريموند . وكدت تذوب خوفًا من غضبه . والآن كيف حالك وقد طلع عليك ايمار

نجاحه) حيلة لطيفة لعَمري [1] ... قبل مباشرة امرٍ ما
عليَّ ان اطرح الجثّة في النهر والبسَ زِيَّ السجَّان واتنكَّر
بثيابه . فلا نحُرَم منها نفعاً (يدخل حيثما ربى دانيال)

سيمون (من سجنه) (غناء على وزن : ما زلت اضرب في سهلٍ وفي جبلٍ)

قد كنتُ آمِلُ من بلوايَ لي فرجاً
ريموندُ ويحكَ قد برَّحتَ في كبدي
تعاهد الناسُ والايامُ في ضرري
اني اموتُ ولا اشكو الى احدِ

(على وزن : يا غزالي كيف عني ابعدوك)

ساعديني يا قيودي في النحيب ذابَ جسمي وكوى قلبي اللهيب
وآ يادي البينِ افنتْ مهجتي كيفَ عيشي بعدَ آموري يطيب

دور

فهوَ روحي وحيـاتي والمرام انَّ عيشي بعدهُ امسى حرام
يا فؤادي قد جرى فيك الردى حبَّذا الموتُ فقد طابَ الحِمام

ايمار (وقد لبس زيّ السجان) ارى الامير يئس من الحياة على
حين دنا الفرج

(١) اجل لطيفة يا ايمار، وما الطفها . فاكرم بك فتىً ذكياً لبيباً .
لولاك لدخل الخفراء وهدموا كلَّ ما بنيت وكانت العاقبة وخيمة . فسر
وادعيتنا تصحبك في مسعاك الشريف

المشهد العاشر

ايمار . جرار (ملتفًا بردائه يدخل من باب الحديد)

ايمار (على حدة) هذا رسول ريموند ٠ جاءَ ليَفتك بسيدي الامير سيمون (يخاطبه متوعدًا) أَرضَكَ لا أُمَّ لك . فريموند لا يبيح الدخول لأَحد ايًا كان

جرار (ببرودة وجفاء) وما شأْنك

ايمار خلِّ عن الكلام واغنَم نفسك

جرار (يتأمله بحيرة) أَعَينِي تخدعني

ايمار إِمضِ لوجهك . كفاك تصعيدٌ فيَّ بصرك وتصوِّب

جرار ليس هذا بالسجّان . فأَين دانيال

ايمار غارت به الابالس او طارت الملائك

جرار اوَ تسخر بي يا ابن الانذال

ايمار إِنك لَميِّت ان خطوتَ

جرار اوَ انت ابليس

ايمار او احدُ اعوانهِ

جرار عرفتُك يا شقي . ما انت الا ايمارُ الملاّح[1] فما ساقك

---

(١) كلما قلنا استرحنا نالنا اعظم شدّة . فكأَنما خطر لكل الاعداء ان يزوروا السجن في هذه الساعة . فيا ربّ خذ بناصر ايمار لئلا تنفد حيلته

الى قبضتي. قُل مَن دفعك الي هذا المكان

المشهد الحادي عشر

ايار . جرار . الفارس (وقد دخل من الباب السري ولم يزل منقبًا)

الفارس (بجلال) انا [١]

جرار (مرتاعًا) آهِ . اليك عني ايًا من كنت . فمالك تلاحقني

الفارس (يسفر عن وجهه) انتَ تُقصيني وانا اتبعك

جرار (خافتًا وقد عرف اباه)

ويلاهُ

الفارس أُذكُر

جرار قد عرفتُك انتَ

الفارس لا اني بريءٌ منكَ

جرار باللهِ ارحمْ

فلَئن يكنْ أَقصاكَ عنّي مُنكَرٌ فهيَ العواطفُ نحو عفوِك سمّلي

الفارس هيهاتِ لم تبقَ الأَواصرُ بيننا

جرار لا تُقصِني ومنَ الرِّضى لا تحرِمِ

الفارس يا طالما بالظلمِ عذَّبتَ الورى

---

(١) اهلاً بالفارس الاسود . فانت كما تقول العامة « لهـذا القرد جنزيره » فان بدخولك « فرجت وكنت اظنها لا تفرج »

لا ترعوي حتى بليت بأظلم ِ

جرار يا سيدي كن راحمي

الفارس لا رحمة ما لم تكفّر عن ذنوبك بالدم ِ

جرار (يصفق بيديه يأساً على وجهه ويستند الى الجدار منهوكاً بعد ان يهتف) بالدم ِ

الفارس (لايار) طال انتظاري فاوجست خيفةً وجئتك على حين . . . فتقدمنا انت في السرب الى الزورق وانا اوافيك مع الامير سيمون (يخرج ايار من باب السرب ويمضي الفارس الى سجن سيمون)

المشهد الثاني عشر

جرار (كانه افاق من نوم ٍ عميق مزعج)

ما لم تكفر عن ذنوبك بالدم ِ . . . آه . هي جرائمي تراءت لعيني . انا الخائن . فتكت بالامراء اسيادي فتخلَّى عني قومي . سفكت دم الاميرة ايزابل . دماً زكيّاً طاهراً . واوقعت بالامير الفتى اموري فاوقع بي الزمان . انكرت الامير سيمون وزجيته في السجون فانكرني والدي جوفروا . وعدت ذليلاً معذَّباً . قبحاً لوجهك يا راعول وبعداً لك . عللتني بالمنى فجعلتني عبداً لريموند

الشقي . ولم يكن نصيبي الاّ الذلّ والبلاء · طمعتُ في المعالي فهبطتُ الى ادنى الدركات · يروعني مستقبل الايام · ويُرعد فرائصي مـا سلف من حياتي · وتحت قدميّ انفغرت هاوية الجحيم · فأنكص راجعاً . ولكن يدُ الاقدار تدفعني « امامكَ امامكَ» · فالتفتُ مستغيثاً مسترحماً · فلا اجد الاّ اشباحاً ناقمةً عليّ · لا ارى سوى كلمات سُطِّرتْ بالدم « يا خائن يا قاتل» ويلاه ما حيلتي · اين المفرّ . . . ابي · انت . ابي . اليك الجأُ · كن ناصري · رحماك يا ابي الحنون · (يركع على رجل واحدة) آه . هزّتك العواطف الوالدية · تحرّكت شفتاك للجواب (بعد الاستبشار يكفهر وجهه ويرتجف كمن رأى كتابةً هائلة فيقراها بتأنٍ وارتجاف) «لارحمةً ما لم تكفّر عن ذنوبك بالدم» (يصرخ صوتاً ويصفق بيديه جبهته ويخرّ على الارض[1])

المشهد الثالث عشر

جرار (مغشياً عليه) · ايمار (عائداً من السرب)

ايمار النهر طامٍ · والزورق كادت تعبث به الامواج · فلا

(١) يعلم الله يا جرار ان مرائرنا تفطرت لحالك · فبعد ان دعونا عليك ساعة دخولك ندعو لك الآن بان يرحمك الله ويغفر لك · ونقسم اننا لا نأتي فظيعة لئلاّ يحلّ بنا ما حلّ بك

يمكن عبور النهر ... على انّ المقام حرج . اِمّا القتل واماَّ الغرق . فليت شعري ما العمل (يلتفت صدفةً فيرى جرار واقعًا ما وراء) ما لهذا الشقي . كأنّي به جثّة لا حراك لما تناجيني نفسي ان أُغمد في صدره خنجري . اِذ لا اخاله الاَّ مصدر بلايانا ... لا لست آتي عملاً قبل ان ارى رأي الفارس الاسود (يدخل الى مقصورة سيمون)

المشهد الرابع عشر

جرار (تدق الساعة نصف الليل فيفيق مذعورًا)

ما أَسمع ؟ نفخة الصور ام هي ساعة الحشر ... ما دهاني ... آه آه ... قد عاد اليّ رشدي بعد ان فقدتُ الشعور . بلى ذكرتُ ما أُنسيت وتجلّت لي الحقيقة ... لقد حانت ساعة فيها يدخل القاتلان ليقتلا الامير سيمون ويُلقياه في النهر . وتلك خاتمة الخيانة . وليس لهُ مطمع في الخلاص وقد دارت الجند بالقصر وطافت الخفراء ... لا لا يكون ذلك وفيَّ بقيةٌ ... فطنتُ الى قول الفارس الاسود « اغسِلْ ذنوبَكَ بالدم » ... اجَل . روحي الخبيثة ابذلها دون الامير الكريم ...

ولكن ايُّ جدوى من ضحيةً حيــاتي الشقيةَ ان لم يفُز الامير بالنجاة (يطرق مليًا) وابي لقــد عاد اليّ نور الامل بنجاته ... وحيٌ الهي ... ان يهبط الوحي على الاشقياء ... ليس من سبيل الاّ الباب الخفيّ من وراء السجون ... فاذا ما غاب الامير تحت ردائي وجاز الدّهليز اصبح في مأمن من الغوائل . وليس من يطاردُه او يفطن اليه . وانا اموت فداءه ... بلى بدمي اغسل ذنوبي . ثم تُلقى في النهر جثتي فتطهّر من ادرانها ... انني اقع على قدميه وارجوه ان يسحقني برجله كالأَفعى . او يرضى ضحيتي كفّارة عن جريمتي ... هيّا فقد ضاق الزمن . (يتقدم نحو مقصورة سيمون ثم ينكص) ويلاه كيف يُقدم الخائن مثلي على مقدس الآلام . او كيف يعلو رداء الشقي منكب الامير الكريم ... الهي ... نعم الهي . وان تخلّيتَ عنّي انــا الكافرَ الخائن . ولكني اهرُب منك اليك . أَقِل عثاري وخذ بناصري ووفّقني الى الهدى بحقِ الامراء اصفيائك ووالدي الامين[1]

(١) احسنت يا جرار . انك لكريم الاصل استهواك الشيطان زمنًا فندمت وعزمت على التكفير بضحية نفسك . لقــد استملت قلوبنا

المشهد الخامس عشر

جرار . ايمار

جرار هاك ايمار الخادم الامين فهو يأخذ بناصري (يناديه) اليّ ايمار

ايمار وما شأنك يا رجل

جرار عمّا قريب يدخل بعض الاشقياء . ليفتكوا بمولاك الامير فانجُ به قبل فوات الاوان

ايمار اوَانت توافقنا على إنقاذه

جرار هاك مفتاحاً تفتح به الباب الخفيّ ما وراء السجن فيجتاز منهُ الامير في الدهليز السرّي فيؤدّيهِ السير الى ضفّة النهر

ايمار اوَلست عاملاً على مكيدة يا شقي ؟

وحركت فينا عوامل الرحمة حتى اشفقنا عليك من خنجر ايمار . والان بما قصدت من الكفارة قد حصلت على اعتبارنا واحترامنا وحبنا ايضاً . لاسيما وان النهر طمى وسبيل الخلاص سدّ في وجه سيمون . فعاد ايمار حائراً وتلقت الافكار حتى خشينا على الجميع . ولا ريب ان عملك الشريف يعود بالعاقبة الحميدة . وان يكن لنا بمصابك عبرة فلنا بتوبتك وتكفيرك نصيحة وخير قدوة

جرار أَبى الله أَن أُلحِق بالامير اذًى . وهاك ردائي يستتر به فيأمن من المخاطر والمخاوف بين صفوف الخفراء والجنود

ايمار اني عاملٌ بما تُشير (ياخذ الرداء والمفتاح) فيسير الفارس بمعيَّة الامير . أَمَّا انا فأَبقى لأَرى ما تكون العاقبة . والويل لك إِن كنتَ ماكرًا (يعود الى مقصورة سيمون)

المشهد السادس عشر

جرار

شكرًا لك ايها الجبَّار . إِن لاق بمقامك المُنيف شكر عبدٍ خائنٍ . احمدك على ما الهمتَني من المسعى كفَّارةً عن آثامي . أَحمدك يا من لا يُحمَدُ سواك . نأَيتُ عنك انا العاقي الشرّير . ولكنك قابلتَني بالعفو والرحمة يا رحيم . اذ ذكرتَ عبدَك الامين والدي الكريم . فأَرشدتني بالمخاوف . وهديتَني بعدلك الرهيب سبيلَ التكفير . فوفقني الى حسن الختام . وطهِّر نفسي من أَدرانها . عساها أَن تروق ذبيحةَ تعويضٍ في عينيك ايها القدُّوس

يا ايها القومُ الذينَ تعمَّدوا فعلَ المآثمِ فاندموا عما جري

بمصيبتي اتعظوا فظلي قاتلي　　وتحدثوا بجرائمي بين الورى[1]
يارب مالي غير عفوك شافعاً　　فرضاك عن كفارتي أن تغفرا

المشهد السابع عشر

جرار ٠ ايمار

(يمر الفارس الاسود وسيمون من باب السجن الى الباب الخفي وراءه)

ايمار　(يشيع سيمون) على الطائر الميمون يا مولاي (يعود الى اول المرسح) أما انا فأبقى حصة هنا دفعاً لما يطرأ من الغوائل ٠ ثم يلحق بي الفارس ٠ فنركب الزورق ٠ ونعبر النهر ٠ متى سنحت فرصة ٠ وموعدنا والامير على ضفة النهر[2]

جراز　ايمار

ايمار　ما بدا لك

جرار　حان دخول القاتل ٠ فلا تتعرض له ٠ بل سر به الى مقصورة السجين

ايمار　ويحك واين السجين

جراز　بحق مولاك ٠ اعمل بما أوصيك ٠ سر به الى المقصورة ٠

(١) ما ابلغ وعظ جرار بعد ان وعظنا باعماله وحاله

(٢) لا شلت يمينك يا كامل المروءة ٠ ما اشد حزمك على حداثة سنك فانك لا تغفل عن امر ٠ ولا تمل السهر والحذر

نخلهِ وشأنهُ · ومتى خرج فلا نقِف لهُ في السبيل

ايمار وانت على مَ عوَّلت

جرار على ما يقتضيه الوفاء · فعسى ان يرضى بذبيحتي الشرَف ... ثم تسير الى الفارس الاسود بوصيتي الاخيرة · وهي «ارحَم من رحمَ واصفح عمَّن غسل ذنوبه بدمهِ » ... (يصغي) أسمعُ وَطءَ أقدام · وصل القاتل . لا تنسَ

(يذهب الى المقصورة)

المشهد الثامن عشر

ايمار ثم قاتلان (من باب الحديد · على كل منهما رداء وفي يده خنجر)

ايمار (في حيرة) ما شأنهُ · اتراهُ سئم الحيـاة · ام هو يكفِّر بدمهِ عن جريمة اتاها · فلَعمري كدتُ افقد الرشاد · ممَّا رأيتُ وسمعت · ولست أُدرك من ذلك شيئـاً ... فصبراً الى المنتهى

احد القاتلين باسم ريموند . سجن سيمون

ايمار هيَّا اتبعاني (يصل بهما الى باب المقصورة و يعود مضطرباً) يكاد يأخذ مني الرُعب

جرار (من المقصورة) اليَّ اللهمَّ [1]

---

(١) مر الى رحمة ربك يا جرار فان الله توَّاب غفور · قـد رضي بضحيتك وصفح عن جريمتك

ايمار (متأثرًا) طعناه · يا لهما من شقيين (ينظر الى داخل المقصورة) حملاه · ألقياه في النهر ··· وفي زعمهما انه الامير سيمون . ساءَ فألهما . . . (مفكرًا بحزن) كان لا بدَّ من موت احدهما ؟ الا تُشرى نفس الاَّ بنفس؟ ··· قتلِ الانسان ما اعظمَ شرَّهُ (يخرج القاتلان من حيث اتيا)

المشهد التاسع عشر

ايمار· الفارس الاسود (عائدًا من الباب الخفي)

الفارس لقد فاز الامير بالنجاة · وعين الله ترعاه · وقد ستره الرداء عن اعين الرقباء

ايمار حمدًا لله على نجاته

الفارس وقد بقي علينا أن نخلّص ابنةُ اموري ونردّه عليه . اللهمَّ وفّق مساعينا فأنصُر الحقَّ واُخذِل الباطل

ايمار انَّ جرار فدى الامير سيمون بروحه · وقُبيل مقتله كلّفني حمل وصيّته الاخيرة اليك « ارحمَ من رحمَ واصفح عمَّن غسل ذنوبهُ بدمهِ »

الفارس لم يَسلمِ الشرفُ الرفيعُ منَ الاذى
حتى تضرَّجَ بالنجيعِ العَندَمِ

انكرتُ اِبني في حياتهِ خائناً ورضيتهُ ميتاً تطهرَ بالدمِ
أَيْ خالقي بجميل سترك قد نجا سيمونُ من اهوال سجنٍ مظلمِ
نرجوك وفقنا الى انقاذ آموري الكريمِ وانتَ خيرُ ميممِ (١)

---

(١) ثبت لنا الآن ما كان من باب التخمين ان جرار ابن الفارس الاسود وما هذا الأ جوفروا الامين عاد يستقصي الاخبار بعد ان ضرب في البلاد يسائل عن مولاه • ففرض علي ولده جرار ان يغسل ذنو به بالدم حتي يسلم الشرف الرفيع • وما زال يتبرأ منه حتي تطهر بالدم • وتلك شهامة اصبحنا لا ندركها بل نعدّها من الغرائب • ولم يكتف الفارس بضحية ولده التي سببت نجاة سيمون بل هو عازم على انقاذ اموري ولو جاد بروحه فكانه • يعتبر ان الجريمة قد لوثت كل اسرته فلا يتم التكفير الا ببذل دم اسرته في سبيل الاسرة المظلومة • وفقه الله وايد مسعاه الشريف • انه مثال الشهامة

لا يخلو هذا الفصل من بعض التكلف في سياق حوادثه • مثل اقامة الفارس الاسود زمناً طويلاً عند سيمون مع حرج المقام • وكذلك كثرة الابواب السرية وايضاً دخول جرار واعتقاده ان الامير ينجو تحت ردائه وغير ذلك مما لا يخفى على اللبيب — اجل يسهل عليّ ان اعلل عن جميع هـذه الامور واتي بالبراهين • لكني لست ممن يهرب من الحق عليّ او لي • بل اقر ان التعليل ضعيف والبراهين واهنة • وان سمح الله وعدت الى هذا الموضوع دققت في التفصيل والشرح

الفصل الثالث

١ يمثل المرسح نهر الفارون وشاطئه · في ظلام الليل
٢ يمينًا مرصد الخفير—شمالاً صخر اذا انفلق يظهر وراءه باب سرّي
وفوق الصخر برج او اسوار برج
٣ يمتدّ النهر من جهة الى اخرى · وليس يرى اوله ولا اخره

هوك · روبر · هرمان · جاك · ايمار · ريموند · الفارس الاسود
اموري · سيمون · راعول

المشهد الاول

هوك · هرمان · جاك (قعدوا يشربون المدام و يغنون و يصطلون بنار اوقدوها· فلا ينتهون الا تكون خمدت · ولا بأس من وجود خفراء غيرهم ايضاً يشاركونهم) روبر ساهرًا في المرصد

(غناء على وزن : بسماء الحسن سلمى)

زالتِ الأَتراحُ عنّا   ايها الإِخوانْ
وهَزارُ الأُنسِ غنّى   من على الأَغصانْ

ايها الساقي اليَنـا　　واجلُ بنتَ الحانْ
فهيَ للافراحِ معنى　　تُبعدُ الاحزانْ

دور

وبها يجلى الظلامُ　　فاملاءِ الكاساتْ
وبهـا يُشفى السقامُ　　يُنشَرُ الامواتْ
انْ يفُتْ منها المرَامُ　　يا اخا اللذَّاتْ
فعلى الدنيا السـلامُ　　وعلى النُّزهاتْ[1]

هوك　طابتِ الانفاس ... لعمرُ الحقِ إنها لصفقةٌ رابحة ... كنّا العهد الامير سيمون في نصَب دائم . يطاردنا الشِحْنة . ويقتصُّ منّا رجالُ الدَرَك . لا تاخذنا منهُم راحة . بل نَقضي ايّامنا جزِعين نتلصّص ... امّا اليوم فقد صفا لنا الجوّ في عهد ريموند . لا نتوقّع في المُنكَرات عقابـا ولا نخشى في الفظائع لومة لائم . فدأْبُنا اغتنامُ الذّلات

(١) مثل هذا المشهد يقتضي ذكاءً زائدًا من الممثلين في هيئة جلوسهم وصبّ المدام والشرب والغناء والمحادثة لئلا يظهر عليهم الجمود او التكلف وتبدو عليهم علائم الحيرة والارتباك او دلائل الانتظام البالغ حتى يخالهم الرائي آلات تتحرك . فان النفوس في مثل هذا الموقف ترتاح الى ما كان فطريًا و يأتي عفوًا من غير ادنى تكلف

ومعاقرة الخمور

هرمان ولا سيما هذه الليلة وقد جادت لنا مكارم ريموند بما يملأ القلب بهجةً وحبورًا · وذلك لقاء مراقبةٍ لا تكلفنا نصبًا . نترصّد الفارس الاسود لنرشقهُ بنبالنا · وما كان الفارس الاسود ليبرّ او يزعجنا · بل نقضي ليلنا في صفاء نتداولُ الالحان ونتناولُ بنت الالحان · فما ابهجها ليلةً

روبر (في يده القوس يرصد وهو ينظر الى سائر الخفراء بحردٍ ونهم يقول لنفسه هازًّا برأسه) ما ابهجها !!! لستُ ادري إن طابت نفسك يا ابنَ أُمّي بان تبقى ليالَكَ اليفَ السُهاد ترعى النجوم وترصدُ الاشباح · في يدك قوسٌ موتورة · وفي صدرك قلبٌ خفوق ··· ليتَ شعري لو طلع الفارس الاسود علينا امثِلي يصوّب عليهِ سهماً نافذًا

هرمان (وقد فطن الى حال روبر) ما احسبُ روبر يرتئي راينا ·

هوك (ضاحكاً) ثكلتهُ نفسهُ · ما اشدّ حنينهُ الى ازدراع الخمر فقد عيل اصطبارهُ في مقامه · الا بربّك يا جاك نُبْ عنه في مركزه حصةً فيشربَ جرعة ·

جاك (يشرب بشره ويقول عن نفسه) ما اضيعَ الخمرَ في بطن

كالهاوية (يذهب الى روبر) اراكَ سئمتَ العزلة ومللتَ الوقوف راصدًا ... فما رايُك في كاسٍ دِهاق

روبر (كمن نزل عن ظهره حمل) انت يا جاكُ جئت تقفُ بدلاً مني فلا عدمتُك من خلٍ وفيّ (يسلمه القوس بعجلة ليفر من مكانه)

جاك مالك . كانك تخشى من هذا المكان ضيرًا

روبر او انت ترجو فيه خيرًا ام طاب لك المقام . لا وحياة روبر لستُ به ارضى (يطير الى مكان الشراب)

هوك (ساخرًا) كأسًا لروبر ابي الاشبال

روبر او تسخرون بي (يشرب بنهم)فابنُ امّي لا يخلو من الفطنة والشجاعة . وانّ تحتَ قميص روبر من جرأَة الجَنان ما يفوق الوصف . ولكن يخونني الجلَد عند المخاوف والمخاطر

هرمان (هازئًا) انت اشجعُ الفرسان حينَ لا يعتريك الخوفُ

هوك (هازئًا) وانتَ مجندلُ الابطال عند ما لا تجد خصمًا امامك

روبر (متحمسًا) ردّوا عليّ الخيل كتائب فلا اتهيّب ولا أُطيع داعية الجزع ... ولكني لا اقوى على مصارعة الاشباح

هوك (ساخرًا) الى الفارس الاسود انت تُشير فقد خالطتْ صورتهُ دماغك فتراءى لك في كل مكان

روبر دع المزاح وأرعني سمعك (يشير الى الصخر نحو اليسار) الاَ تنظر الصخر

هوك بلى وما شأنهُ

روبر هذا النهار كنتُ في مقامي هنا · فاذا بالصخر انفلق وبرز منه الفارس الاسود· كما تبرز الابالسَ من المغاور والصخور

هوك وهو على ما تصفهُ دائمًا

روبر أَجَل ذو لحية سوداء كالليل الحالك . قد التحف برداء اسود وغاص بالزرد

هوك ولِمَ لَمْ ترسل اليه سهمًا يخرقُ كبده. أَما أُوصيتَ بذلك

روبر ابيتَ اللعن · هل فاتك أَن من رشق الاشباح عاد سهمُهُ على نحره

هوك لله ابوك · فانت بكل علمٍ عليم · فما فعلتَ اذن

روبر اطلقتُ لقدميّ العنان. واتيتُ القصر فناديت : الفارس الاسود . ياقَومي (يضحك الجميع وكانوا ينظرون الى روبر بتبسم الاستخفاف)

هرمان　لله درّك ما انجدك

روبر　تضحكون مني ... آه لو رأيتموه ... بلى رأيته انت يا هوك . بعينك . وسعيتَ وراءه [1]

هوك　ولكن لم اهتدِ اليه . فلا اعلم اغارت بــه الارض ام طارت به العنقاء . على اني لا ازال ارصده ولن يفوتني

روبر　تدبّر امرك . وتهيّأ فقد دنا نصف الليل وحانت ساعة ظهوره . امّا انا فلا ادري ما اصنع

هوك　دونك كأساً بها الشفاء من داء الخوف　(يصب للجميع ويرفع كأسه) الا يا أُصيحابي فلنشربْ نخب من ينفذ سهمَه في سويداء قلب الفارس الاسود [2]

هرمان　لا شلّت يمين الرامي (يشربون)

روبر　(على حدة)امّا انا فاشرب نخبَ ابنِ أُمّي (يشرب فيصغي فجأة) الا اسمعوا

---

(١) يشير الى ما كان منهما في المشهد الثاني من الفصل الاول اذ بصرا بالفارس الاسود بعيداً فجدّ هوك في طلبه ولحقه روبر مع التحفظ

(٢) لقد عرفنا هوك وروبر . فلم يزالا كما عهدناها . الاول معتدّاً بقوته وشجاعته والثاني مستبسلاً في حال خوفه . وان نكن لا نعتبره ولا نحبه فلسنا نحتقره ولا نبغضه بل نسر باقواله واعماله المضحكة . اما جاك وهرمان فلا اهمية لها تذكر

ايمار (في الخارج يقرب وهو يغني على وزن : لحظك يا بدر غدا ظالمي)

لَيلُكَ إيمارُ غدا حالكاً والجوُّ اضحى بارقاً راعدا
والنهرُ ارغى مُزبداً طامياً فانجُ الى الضِفَّةِ سِر جاهدا

روبر هذا ايمار . لحاه الله إنه موافق للفارس الاسود . وكأنَّ غناءه اشارةٌ لذلك الشيطان . فلا نلبَث ان نرى الفارس الاسود (يخاطب ايمار عن بعد) ويحك يا كلبَ البحر الا تسمعنا غير هذا الغناء

المشهد الثاني

هوك . هرمان . جاك . روبر . ايمار (في زورقه يمرّ [١]) . صوت الخفراء

ايمار حيَّاكم الله يا إخوان الصفاء

---

(١) لكي تصنع الزورق خذ عجلة صغيرة على بكر تجري . وسمِّر الى احد جانبيها المقابل للحاضرين لوحاً او اكثر من الخشب او الكرتون على هيئة قارب متناسب الطول والعلو ومدهون دهاناً موافقاً . فيقعد الملاح على العجلة وراء اللوح وفي يده المجذاف يحركه بفن. ولا بد من وجود اشخاص وراء الكوليس يميناً وشمالاً يجرون القارب بحبل ذهاباً واياباً حسب اللزوم . فيتوهم الحاضرون انه زورق تلعب به المياه

اما تمثيل الماء فيتم بأن تأخذ لوحين من الخشب متقطعين على طولهما تقاطيع مستديرة كأنها اقواس متلاصقة الاطراف . فتعلق اللوحين بشريط الى السقف احدهما امام الآخر وبينهما مسافة نصف ذراع او اقل

هوك حيّاك الله وبيّاك يا ايمار . فاين تقصدُ

ايمار اخوض عباب النهر لاطرحَ الشبَك · وانتم ما شانكم

هوك (بدهاء) نترصدُ فرصة صيد لنرشقَ سهماً في الهواء

ايمار (هازئاً) لا طاشَ لكم سهم

هوك (هازئاً) ولا فاتك السمك

روبر (على حدة)ولا حُرِمتَ في لجَّة النهر مبَيتاً

صوت الخفراء أنصفَ الليل (يتكرر هذا الصوت مع مدٍّ فيه · يبدا ضعيفاً فيقوى شيئاً فشيئاً حتى يصل الى جاك في مرصده)

جاك انصف الليل (يضعف الصوت شيئاً فشيئاً · كأن هوك في المركز الأوسط بين الخفراء)

ايمار انصف الليل · فتأهبوا ايها الابطال . لقد دنتِ الساعة (يخرج متابعاً غناءه)

الليلُ قد أنصفَ عُدْ عاجلاً ما الفارسُ الاسودُ اِلاَّ بدا[1]

وحين التمثيل تهزها احدها نحو اليمين والثاني نحو الشمال · فهذا الترجرج ومرور التقاطيع بعضها امام بعض يخيلان للناظر حركة تموج الماء · ولا حاجة الى القول ان كلاً من اللوحين يجب ان يمتد على طول المرسح و يكون مدهوناً بما يوافق لون الماء

(١) لا يزال ايمار مجلبة حبنا · فاننا نأنس بهذا الفتى النشيط الامين ونستبشر برآه ونرجو منه حصول امرٍ مرغوب · ولا نشك الآن في قرب حادث خطير فقد عودنا ايمار ذلك وختام غنائه كقول روبر يقوي ظننا ·

المشهد الثالث

هوك · هرمان · جاك · روبر · ثم ريموند

جاك (حذرًا) وَقعُ أَقدام · مَن الطارق

ريموند (من الخارج) ريموند امير تولوز

هوك سيدي الامير؟ وقوفًا ايها الخفراء (يقفون ويرفعون الآنية بعجلة)

ريموند (وقد دخل) ما وراءكم

هوك لا شيء مولاي

ريموند على اسوار القصر؟

هوك لا شيء

ريموند على النهر؟

هوك ليس الاَّ صيَّاد عبر النهر مغنيًا

ريموند ما الساعة

هوك قد مضى نصف الليل

فضلاً عن ان اعلان الخفراء بانتصاف الليل يقع موقعًا جليلاً في فؤادنا ويزيدنا استمساكًا بما نرجو · فان الغرائب كثيرًا ما يروى وقوعها في مثل هذه الساعة الرهيبة

ريموند أَما وقد فات الحين[1] فعودوا الى منازلكم (يخرجون آخذين الآنية معهم)

المشهد الرابع

ريمند (حائرًا مضطربًا)

ليت شعري هل تخبط كلُّ مساعيّ ... كادت اعمالي يقرنها التوفيق وتكلَّل بالنجاح لولا الفارس الاسود . فهو دائب على عرقلة مساعيّ ... فمن يكون هذا اللعين وما يدفعه الى معاندتي ... وهل عنَّ له ان يحرمني ثمرة اتعابي ويُعيدني الى سابق امري ... او كنتُ ممَّن يرضى بالفشلِ والذل

جاهدتُ عَشرًا في سبيلِ مقاصدي
والمكرُ رُمحي والخديعةُ مُنصُلي
والنفسُ راغبــةٌ فليست تنثني
يا ويلَ اعدائي وويحَ العُذَّلِ

(١) عللنا النفس بظهور الفارس الاسود وعظم شوقنا لما تنبه الخفير الى قدوم طارق . ولكن خمدت نارنا اذ لم نرَ سوى ريموند لاسيما وقد قال بفوات الوقت فأمر الخفراء بالانصراف
ونحن نتساءل عما منع الفارس من المجيء كما نحن ننتظره وينتظره ريموند. فلا بد من امرٍ شغله كما شغل بالنا

لا بدَّ من هاماتهم لي سلَّماً
أرقى عليها فوق أرفع منزلِ

ايًّا من كنتَ يا بريدَ الشؤم . قذفتك الارض من جوفها او ارسلتك الجحيم من نارها . فلا بدَّ ان تنال من كفّي نصيبك فتعلم انَّ ساعدي من حديد وانَّ ريموند عن قصده لا يحيد . . . . سيَّرتُ على هذا العدوّ راعول صاحبَ الهمَّة والعزيمة . وقد آلى على نفسه انه ياتيني بالفارس حيًّا او ميتاً . ولا ريب انه في زورقه يترصَّده ليُوقِعَ به . وما كان راعول ليرجعَ بصفقة المغبون[1] . . . فقد حان زمنٌ فيه . ابلغُ من عدوّي المرام . . . (ينظر الى الخارج و يروي ما يرى) لعَمري . . . ارى زورقاً على النهر يجري وفيه . فارس قد اتَّشح بالسواد . . . اِيْ وحقِّ ابليس هو هو . الفارس الاسود . عدوُّنا الالدّ . . . فاين راعول . وما هو صانع يا ترى . كيف

---

(١) لقد راينا من حكمة الفارس وشجاعته ماجعلنا نهزأ بغضب ريموند ووعيده . ولكن لا يبرح في اعماق الافئدة اثرٌ شديد للخوف . فاننا نذكر رغماً عنا سطوة ريموند ومقدرته واستقتاله والمخاطر التي تحف بسيمون وامورى ووجود الفارس وايمار من غير نصير . فيتنازعنا الخوف والرجاء

تقاعد عن مطاردته ... فالفارس الاسود يمرّ بهِ الزورق
ولا يخشى بأساً ! ... راعول ... يخال لي ... بلى
زورق ثانٍ برز من الشاطيء ٠ وقصد الى الفارس الاسود
... هو راعول ٠ راعول هاجماً عليه ... قد صار منه
على قيدِ رمح ... حاذاه حتى صكّ الشبَحُ بالشبح ...
(بحنقٍ يدعو على الفارس) لك الويلات يا اسود الشؤم
اِنقلبَ الزورق بخادمي راعول ٠ فسقط التعيس في
عباب الماء ٠ هيا الى نجدتهِ (يخرج مسرعاً)

المشهد الخامس

الفارس الاسود ٠ ثم اموري

الفارس (يغني غناء حرب مونفور على وزن: راق انسي بالندامى — يشرع في الغناء قبل ظهوره ثم يمر في زورقه بطيئاً ولا يزال يغني حتى ما بعد خروجه)

رايةُ المونفورِ سادت فوقَ أعلام الكبار
ولها الساداتُ شادت معقلاً عالي المَنار
وبها الفُرسانُ فازت باكاليلِ الفخار [1]

---

(١) لاشلت يمينك يا ابا الابطال فقد قلقنا لعاقبتك وراعنا ما روى لنا ريموند عن وقوف راعول لك بالمرصاد وهجومه عليك ٠ ولكن طابت نفوسنا بفوزك عليه وما اعظم بهجتنا برآك ظافراً تمر امامنا بهيبة وجلال

اموري (بعد ذهاب الفارس ينفلق الصخر الكائن الى اليسار في الصف الثاني • و يظهر من ورائه اموري • فيصغي حتى ما بعد الغناء ثم يتقدّم فيقول بحماسة يخالطها الحزن) غِناءُ الحرب • غناء مونفور اجدادي العظام • وهذه هي العلامة يا اموري فيتسنّى لك ان تبرحَ لحظـةً من ضيق السجن وتسرّح الطَرْف بفسيح الارجاء ••• الهي • ما امرَّ العيشَ على السجين • فقد مضى عليّ في محبسي سنوات احسبهـا دهورًا. قاسيتُ فيها انواع الاكدار ••• كأن الشقاء نصيبي ••• (استسلم للحزن ثم انتبه فجأة فخجل واستغفر ربه) عفوًا ربّاه لأموري الفتى ... لقـد نالني من ويلات الاسر ما سئمت معه الحياة • فبتّ اشكو وانوح ... على انك ا فتقدتني يا رحيم فارسلتَ لي رجلاً يعزّيني ويحرسني • فالفارسُ الاسود ذلك الغريب تمكّن رغمَ آنفِ الخفراء منَ الولوج الى سجني وفتح لي ابوابه لا تنسّمَ الهواء النقي فينتعش قلبي وارعى نجوم السماء فتقرّ عيني ••• لعمري ليست تبرحُ عن بالي تلك الساعـة التي ظهر عليّ فيها هذا الفارس فضمني الى صدره بحنوّ شديد وحدّثني عن ابي وامي بما اهتزّت له جوارحي طربـاً

وترنّحت اعطافي حبوراً . الفارس الاسود . فما اغربَ هذا الرجلَ الكريم . سألتُه عن اسمه وحالهِ اجاب ان اسمه دولور ... دولور !! للهِ من اسم يهيج اشجاني ... قال انه جاء لينُقذَني ويردّني على ابي ... فهو ملاكي الذي اترقّبهُ . وانّ قلبي ليخفقُ فرحاً لما اسمع زورقه ماخراً في النهر ومجذافه يشقّ عباب الماء .. هذا الفارس الاسود الذي ترُعَد منه فرائص الناس اجمع . أُسَرّ انا بقدومه وتحيا بقربه نفسي ... كيف لا أُسرّ به . وهو صديقي الوحيد . انا الذي قضيتُ ايامَ الصغر متقلّباً على الحرير راتعاً في مروج الرغد والهناء يحفّ بي الخدَم وكلهم يفدّوني . اصبحتُ اليوم وقد اعرضوا عني وتزلّفوا الى سواي (بحزن يتزايد) ... كانت لي امّ ويا لها من امّ . ملاك اللطف ومثال الحنوّ ... فالاشقياء صرموا حبل حياتك يا امّي ... فأحرموني مفاعيل حبّك ... (بنوع من الفخر) كان لي ابٌ شريف جليل بعيد الهمّة كبير النفس طالما ذكرتِ الفرسان أَخبار بسالته وتناقل الركبان حديث مجده ... غاب عن عيني ابي سيمون عشرة اعوام . ولا تزالُ نفسي تحدّثني

بأن الايام تجمعني به قريباً ۰۰ ۰ آه لو يعود ابي الهمام۰
لكبح جماح المعتدين وقطع دابر الخائنين ۰ فلا نلبث
أن نرى راية المونفور تخفق من على اسوار تولوز ۰
وتُشرق شمس طلعتك على قصرنا العزيز الاركان . انت
يا زين الكرام[1]

الفارس (في الخارج يسمع منه نتمة غنائه)

قد بنى المونفورُ ذِكرًا زانه بين الانام
ابقى للساداتِ فخرًا ليسَ يُمحى للدوام[2]

اموري (يصغي بحزن واندهاش) لله ما اقصرَ أُوَيقاتَ الهناء ۰
هذا الغناء ليس الآن سوى علامةِ الرجوع. وقد كان

---

(۱) لقد طالما حنت اليك جوارحنا يا اموري لكثرة ما اسمعنا بذكرك حتى اصبح كلّ قلبٍ عليك قلب سيمون ابيك ۰ والآن قرّت بنظرك العيون واثلجت بكلامك الصدور ۰ فنحن ندعو لك بالخلاص من السجن والعود الى سالف عزّك ومجدك ۰ راجين بعد الله بالفارس الاسود ملاكك الساهر عليك

(۲) ما احسنها طريقة لقطع المشهد اذا كان طويلاً ۰ فمتى خيف ملل الحاضرين من مشهد قضت الظروف بطوله فيجمل التذرع بالغناء او غير ذلك من الامور التي تنبه الخواطر وتحفظها من كلل يعتريها ۰ ولا حاجة الى التنبيه ان هذه الوسيلة يجب ان تكون طبيعية خالية من اثر التكلف

منذُ حين علامةً لبراحي من السجن وتفريج كربتي . فقد تحتّم عليّ أن اعود الى شرّ الحبوس عملاً باشارة الفارس الاسود . . . فليتَ شِعري . ما للفارس لم يحضر اليّ كعادته في هذا الحين . . . ما دعاني غناؤه الى النزهة حتى اشار اليّ أن اعود الى سجني . . . فلِمَ العجلة وما شغَله عن المجيء . . . . أهو يتوقّع امرًا خطيرًا في هذه الليلة . . . اللهمَّ اليك اصرخُ من اعماق المصاب . ايّد بيمينك القادرة ملاكي الفارس الاسود . وأرحم ضعفي وهاءنذا البّي اشارته واعود الى ضيق الاقفاص

(يدنو من الصخر فيرى سيمون بجانب الباب فينكص خائفًا)

ترى من يكون الرجل . لقدِ افتضحنا وقضي الامر[(١)]

---

(١) ما انست نفسنا باموري حتى حزنا لحزنه واسفنا لفراقه وعوده الى ضيق السجون . ومع ذلك بقي رجاؤنا عظيماً . ولكن ما اشد ارتياعنا لما نرى رجلاً غريباً يقطع على اموري الطريق و يفضح امره . لعمر الحق ان قلوبنا تخفق مع قلب اموري . بيد ان جأشنا يسكن قبل جأشه اذ نعرف من لا يعرفه الآن . ولا يلبث ان يهدأ باله نوعًا اذ يتأكد ان الرجل حزين لا يتعمد شرًّا

المشهد السادس

اموري · سيمون

(وقد دخل منذ حين خافتاً ووقف الى اليسار ولم ينتبه الى وجود اموري)

سيمون (لنفسه) بلى هذه رنّة الفخار · هذا غناء مونفور · وطالما طرقت مسامعي في ايام الصبا تلك النغمات الشجية · وهي لا تزال تُطربني وتهيجُ خاطري . . . سقى الله ايام العزّ ما كان اقصرَها . مضت ولم يبقَ الاّ ذكرُها . وعاندني الزمان . فيالَخيبة الامل . . . وصلتُ الى غاية سفري في هذا المكان . ولم أَبلغِ المرام . . . نجوتُ من السجن وعبرتُ النهر عملاً باشارة الفارس . واملاً ان اجتمع بولدي . فلم احظَ بلقاه . . . فها انا أُحيّي الاطلال وتلثم شفتاي آخِرَ مرّةٍ هذه الاسوار · وتنظر عيناي الديار نظرةَ وداعٍ ليس بعدَهُ من تلاق

اموري (على حدة) تُرى ما بهِ فلستُ اسمعُ كلامه

سيمون (غناء علي وزن حجاز — ثم على وزن : يا بدر جنح الغياهب)

فلا يُرجى لبُعدي مِن لِقاء   ولا يُرجى لدائي من دواء
كأنّي بالزمانِ لنا عدوًّا   أَبى الاَّ التفنُّنَ في بَلائي

فياليتَ الزمانَ قضى بموتي فإنَّ الموتَ خاتمةُ الشقاء

مذ غابَ نورُ عيني وبانَ عني فؤَاي
لم يبقَ غيرُ المَنونِ والموتُ جلُّ مُرادي

اموري للهِ ما انكد حظَّه

سيمون (لنفسه) توهمتُ أَني اجتمع بوحيدي وأَشفي بلقاهُ غليلي . ولكن خاب الرجاء . . . اين وحيدي . . . اين القاه... اه لا تلاقي بيننا . . . وما الفارس الاسود الاَّ يعلِّلني بالآمال الفارغة . . . أَنَّى لهُ أَن يجمعني بوحيدي وقد نمى اليَّ أَن ريموند الخائن سار به في جنح الدجى . وقذفه في لجَّةِ النهرِ . . . (بحرقةٍ) يتراءى لي ريموند اللئيم اشبه بالذئب الخاطف أَنشب مخالبه في وحيدي واحتملَهُ كالحَمَل الوديع ليطرحه في اللجَّة الفاغرة فاها . وكأَني بولدي يستعطفه ويصرخ اليه « اِرحمني . بحقِّ أُمي . رُحماك واذكر صنيعَ والدي . ارحم شبابي » . . . ولكن ذلك الوحش الضاري لا يرحم ولا تهزُّه عاطفة . . . أَلقاهُ في النهر . . . وضحك ضحكاً اشبهَ بعرير الكواسر لمَّا راه يختبط في الماء . . . (بهياج) آه سقط وحيدي

في النهر ولم يكن هنالك من ذراعٍ ينجد سليل الامراء؟ . .
فلكم فديتُ الاسير وفككتُ قيودَ السجين وأنقذتُ
البائس من مخالب المنية وبذلتُ روحي في سبيل
المظلومين . ولم يكنٍ هناك مَن ينتصر لوحيدي؟ . .
وهذه المنازلُ التي أوى اليها في صغره لم تهتزَّ جزعًا؟ . .
وهذه الاسوار التي عاش بينها لم تتقوَّضْ اركانها اذ
شهدت مقتله؟ . . . آه ملعونةٌ انتِ يا جدران قصري .
ملعونة انتِ ايتها الجوامد (يقعد واهيًا على الصخر او يستند
اليه ويخفي وجهه بين يديه)

اموري (على حدة وهو حائر مضطرب في كل المشهد) هل تراهُ فاقد
الرشاد . فما له يخبط في الكلام . لستُ اسمع الاّ شواردَ
الفاظ لا أُدرِكُ لها معنى . . . ليت لي أن اصل الى
الباب الخفي دون أن يُشعِرَ بي (يتقدم همسًا الى الباب
فينكص اذ ينتبه اليه سيمون)

سيمون (وقد انتبه الى وجود اموري فينظر اليه بمرارة وحرقة واشمئزاز)
ما شأنُك ايها الرجل وما حملَك في دجى الظلام الى هذا
المكان القفر . فليسَ يأْنس بالعزلة والظلام سوى
الحزانى . . . فعُد الى افراحك يا رجل . ولا ريب انك

من سكانِ هذا القصر أَليفي الراحة والرغد

اموري (ببرارة) اليفي الراحة والرغد ! لا وحقّي

سيمون فلِمَ التطواف ليلاً وحيدًا شريدًا ... أأثقلتك الجرائم ام تمزّق احشاءَك سيوف الحزن ؟ .. اليك عن هذه الربوعِ إن كنت حزينًا منكود الحظ . ولا تقرب من الاسوار . انها ملعونة ... وان كنتَ من ذوي الجرائم فهنا مقرّك . في ربوعٍ ساد فيها الاشرار ... ألا تعلم من هم ارباب هذا القصر الشاهق

اموري ريموند امير تولوز (متنهدًا) وقد كان فيما مضى آلُ مونفور الكرام .

سيمون (بنوع من الطرب الممزوج بالحزن) جُعلتُ فداك يا من لم ينسَ ذكر مونفور (يخفي وجهه بين يديه)

اموري وما انا من ينساهم ما بقيتْ فيَّ بقيَّة

سيمون (يقف واهيًا) دَع عنك ذكرًا يجلب الموت . ترحَّل عن هذه الاطلال . فإنها مجلَبة الشقاء . اليك عنها فهي مصدرُ البلايا . امَّا انا فأَبقى هنا . فهنا كنزُ حياتي ... وهنا أَقضي حتى آخرِ نسمةٍ من عمري ... هنا قريبًا من اللجَّة اختار لي مدفنًا (يدنو من النهر)

اموري ما اشدَّ حزنَه · عزَّى الله قلبه (يغتنم فرصة ابتعاد سيمون من الصخر فيبادر الى الذهاب همسًا بالباب الخفي)[١]

المشهد السابع

سيمون (يعود الى الامام ولم يفطن الى ذهاب اموري)

ما غايتي من هذه الربوع · وما ارجو فيها · · · اني غريب الدار في حمى اجدادي · خاملٌ ذليل في ارض انا سيدها · ليس مَن يدري بامري او يرثي لحالي او يرمقني بنظرهٍ · · · على أنَّ الفارس الاسود لمَّا شيَّعني قوَّى عزائمي بما وعدني · وقال لي : سِرْ ويدُ الربّ معك · فترافع ريموند

(١) ما ارقَّ هذا المشهد · وكم يصعب علينا الصبر عليه · ونود لو نوقف الوالد وولده على الحقيقة فنهنأ بهنائهما · ولا يستغرب افتراقهما قبل ان يعرف احدهما الاخر · فسيمون في حالة من اليأس والحزن لا تمكنه من تثبت ولده · فضلاً عن انه لا يخطر بباله انه هناك يطوف · بل يحسبه من اهل القصر اليفي الرغد · وكيف يخالج صدر اموري انَّ ذلك الغريب الهائم على وجهه شريدًا هو ابوه · وهو لا يرى صورته في ظلام الليل ولا يسمع مناجاته او يفهم منها شيئًا. وما عدا ذلك فانه في حال اضطرابه وخوفه وبعد عهده بابيه لا يقوى على ادراك الحقيقة · ولكن متى عاد الى سجنه وسكن جاشه تنازعته الافكار · وخطر له ان الغريب لا يبعد ان يكون اباه · وسنرى ذلك في الفصل التالي

الخائن امام الامراء.وسادات البلاد · وتطلب قَضاءَ الله(١) بحضرة الفرسان ·· وهو تعالى يحقِقِ آمالك ويجعل اليَدَ العليا لك · فتعود الى مِنصّة الامارة ··· (بحرقة) مالي وللإمارة . وماذا أرتجي وقد فقدتُ وحيدي ونعيم حياتي ···الا يا قلبُ خلِّ عنك الاوهام . وأقضِ انفاسك المعدودة طائفاً بقصر آبائك ··· وحبذّا الموت . فترى عند الصباح جثّتي على ضِفّة النهر مطروحة . فيتأكد عدوّي موتي ويبتهج بقتلي ··· ذلك مشهدٌ تقرُّ به عيناه فليتهنَّ به يتمتّع (يقعد و يخفي وجهه بين يديه)

---

(١) يراد بقضاء الله (Jugement de Dieu) احدى الوسائل التي كان يتخذها اهل القرون المتوسطة للاستدلال على براءة المتهم او ذنبه حين لا يجدون حجة واضحة له او عليه · وهذه الوسائل هي ان يضع المتهم يده في ماء غالٍ او يمسك بها حديداً محمياً او يبارز غريمه الخ · فاذا لم يمسه اذىً اثبتوا براءته · وقد ابطل هذه العوائد الرديئة لويس التاسع ملك فرنسا المعروف بالقديس · وامر ان لا يعتمد الا على شهادة الشهود

المشهد الثامن

سيمون . الفارس (بمر في الزورق)

الفارس (ينزل من الزورق و يدنو همساً و يضع يده على كتف سيمون) حيّاً الله السجين الطليق

سيمون (ينظر اليه) انت ! لِمَ لمْ تتركني اموتُ في سجني . لِمَ جئتَ لي قرب لجة غدتْ مدفناً لولدي

الفارس (بجلال) يا قليل الايمان . اليس في العلى ربٌّ عادل يسهر على اليتيم وياخذ بناصر المظلوم . اِنَّ ابنك لم يزَل حيّاً . وعن قريب تجتمع به . سيمون دي مونفور . قدِ التأم الامراء والفرسان في فُندُقِ البحَيرة ليشهدوا المرافعة ويقضوا لك بالحقّ . فسِر الى كوخ على ضفّة النهر تجد فيه الخادم الامين الوفي ايمار الملاّح . وغداً . في خرائب الدير . بين مدافن اجدادك . غداً . قضاء الله

(يدخل الباب الخفي وراء الصخر)

سيمون (بابتهاج) حيٌّ ؟ حيٌّ ؟ لم تخدعنيأُ ذُني ؟ لم يُصرَم آخِرُ حبال الحياة ؟ (للفارس من غير ان يفطن لذهابه) لك الشكرُ ايها الفارس الكريم ايّاً مَن كنت (ينتبه الى غيابه) غاب عنّي . لكنّه اعاد لي الآمال والحياة . . . (يقف)

الآن طاب العيش . الآن لذّ لي القتال . فليرتعدِ
الخائن عدوُّ الامراء (يمشي متحمساً)

لقدَ حانَ الزمانُ لاخذِ ثأري   ايا ريموندُ هيّاً للصدامِ
فلا يُطفَى غليلي واَحتراقي   اذا لم اطفِ من دَمك اضطرامي
قَطَعتَ القلبَ يا غدّارُ حزناً   فذُق قَطعَ القلوبِ بذا الحُسامِ
حذارٌ حذارِ يا من قد تصدّى
لحربي اِنني ملكُ الحِمامِ . . .

(لا يزال يمشي وتحمسه يخف بالتدريج) أَجلْ طاب لي
العيش وعزّت عليّ الحياة . . . فعليّ أَن اعمل باشارة
الفارس الاسود . هيّاً الى كوخ ايمار الشهم الكريم
(يخرج بنشاط)

المشهد التاسع

ريموند . راءول

ريموند (وقد راى الامير بعيداً فيشير اليه)فارسٌ اِنْ لمْ يُخطِئ
ظنّي . . . فهل لمحتَ شارتهِ [1]

---

(١) يخفق فؤادنا لما نرى ريموند وشريكه قد اوشكا ان يلتقيا
بالفارس وسيمون . اما دخول الاشخاص في هذا الفصل فلا حاجة الى

راعول لا يمكن ذلك في ظلام الليل

ريموند رابني وجوده ليلاً على ضفة النهر . . . هل بك من جرح

راعول لا . ولكني كنتُ في غنى عن ان اخوض الى قعر النهر في مثل هذه الليلة الباردة . . . لعن الله الفارس الاسود فما كنتُ لأعود في عمري الى مناجزة مثله . فإنه اخزاه الله عاجلني بضربة اثبتت لي انه ليس من عالم الارواح

ريموند لقد حاذيته وجهاً لوجه . فلا ريب أنك تميزت ملامحه

راعول لا يختلف عمن سواه

ريموند (بكيد) ما كنا لنهتدي الى الحقيقة . على اني وحق نار الجحيم لا بدّ لي من الوقوف على جلية امره . ولو انه من الابالس فنرى ان كانت تعجز عنه جنودي

راعول بالصواب نطقت فانّ علينا اليوم ان نفرغ المجهود في مقاومة الاعداء . وما اخال الحرب الا يحمى وطيسها اليوم

ريموند وبم تتشاءم

التنبيه . اليه وليس فيه تكلف قط . لان المرسح يمثل شاطىء النهر . وكم من الناس يمرون بمثل هذا المكان . لا سيما وان اشتباك الاحوال يجعلنا نتوقع مرور هؤلاء الاشخاص من انصار وخصوم . فضلاً عن ان اقوالهم واعمالهم السابقة تنبئنا بقرب عودتهم

راعول هذا الفارس الذي تراءى لنا ها هنا !
ريموند وما شأنه
راعول قد شاع انه ظهر اليوم فارسٌ غريب اسمه نومياس
ريموند (بازدراء) ما هذا باسمِ فارس
راعول وقد سمعتُ البعض يقولون انهم رأوا في هذا الليل الامير سيمون بعينه . ولا يبعد ان يكون هو
ريموند ويحك . أما بعثتُ عليه في سجنه مَن طعنه وزجّه في النهر
راعول وهل تثبّتهُ قبل أن يُقتل ويُطرَح في الماء
ريموند وما الحاجة الى تثبّتهِ. ولم يكن في السجن سواه
راعول وماذا افادك السجان
ريموند (بغيظ) آه لقد ذكّرتَني امرًا غفلتُ عنه . . . لم أَعُد ارى السجّان . . . فكيف مضى ولم يعطف عليّ ليأتمر بامري . . . قبحًا وشقحًا للزمان . فلا ارى في كل آن سوى اسرارٍ غامضة . ومشاكل معضلة
راعول حذّرتك فلم . . .
ريموند (يقاطعه) على كلٍّ فالحربُ حرب حامية . كيفما حالت الحال . ولو قام سيمون من بين الاموات وقذفت به المياه

فما انا من يتخلى لعدوّي غنيمةً باردة عمّا قاسيتُ في سبيله الاهوال . فالاسوار منيعة . والحامية عديدة . ويميني شديدة

راعول لا شلّت يمينك

ريموند وهذا الفارس ايّاً كان واقعٌ لا ريب في قبضة رجالي . فهم سدّوا المعابر والسبلُ[1] . . . ولا بدّ من فضِّ ختم الاسرار (يشير الى البرج) ان الغلام وحيدي او عدوي الالدّ .فسيعلو اليوم مجيدًا مكرّمًا على منصّة الامارة او او يدرَج قتيلاً في الكفن . . . ألم تسأَل ايمار

راعول قفلٌ من حديد . لا يُبدي جوابًا . وعدتُه بالذهب فلم يغترّ . واستعنتُ بالخمر علّه أَن يُنطقه السكر . فلم تنجع فيه حيلة

ريموند (بحرقة) واحرَّ قلباه . لو تعدّى السرّ الى غير ايمارَ فانه

---

(١) ربما يستغرب تهاون ريموند في شان الفارس الذي شاهده . ولكن يتضح لنا الامر متى سمعنا قول ريموند انه يعتمد على رجاله الذين سدوا المعابر والسبل . فضلاً عن ان اهتمامه بالفارس الاسود كان له شغلاً شاغلاً . وايم الله ليسرنا اضطراب ريموند وريبه وفشله رغماً عما يتكبد و يدبر

وحده عليم بدخلة الامر. وتراه اصمّ ابكم ... وأمه الفاقدة الرشد لا يُرجى منها جواب (بغضب وعزم) انما لابدّ من جلاء الشك . فهيّا بنا الى كوخه[١]

راعول ما مِن داعٍ الى الجدّ وراءه . قد سمعتُ رجلاً يغنّي على النهر وليس غيرُه يخوض عباب الماء في مثل هذا الليل (يشير الى النهر في الخارج) الآ ترى سوادًا على النهر يلوح

ريموند (بعد ان ينظر) بلى . فنادِهِ

راعول (يدنو من المكان الذي اشار اليه وينادي) على رِسلك ايها الملاّح . عرّج علينا . هنا . قرب البرج (يعود الى ريموند) على مَ عوّلت الآن

ريموند لستُ اعلم . انما لا بدَّ من معرفة الحقيقة . ولا بدّ لي ولو وقعتُ على قدميه مبتهلاً . ولو بذلتُ له نصف ما ملكت يدي

راعول (مستغربًا) ما اشدّ ما تهمّك معرفة الحقيقة

ريموند ليس لك ولدٌ فتعلمَ انّ الوالد يهون عليه كلُّ عسير

---

(١) ما اشد ذلاتنا لما نسمع ريموند يعزم على الذهاب الى كوخ ايابن حيثما سار سيمون . ولكم نخشى التقاءهما على حال غفلة من هذا

في سبيل ولده . (بتحمس) انّ الحريص على الدنيا اذا ما بلغ المنى بعد مقاساة الاهوال لا يُحجم عن اعادة الكرّة وركوب الاخطار ثانيةً إن كان يرجو أن يقول يوماً لنفسه « هذه الاموال . هذه المراتب . التي كلّفتني ما لا يطاق . لا تذهب عنّي . فانّ لي وريثاً . لي ولداً رفعتُه بجدّي الى اعلى المراتب . انا احقرَ البرايا . ولداً يخطر مفتخراً بين نُبلاء يزدرون بي ويفوز على شرفاء ضيّعوني . اِنّ لي ولداً يجني ثمرة اتعابي . فلا تذهب مساعيّ هدراً . اِنّ لي ولداً . . . » ألا تدرك كل هذا[1]

راعول بلى . كلّ هذا . وما وراء هذا . وهو أنني لا وجودَ لي في احداسك ولا ذكرَ في امانيك . . . الا ترضى بي وريثاً ؟ انا يمينك في جميع مساعيك . انا الذي

(١) لقد اجاد ريموند في وصف حب الاباء للبنين . لكن حبه على شاكلته لا تجرد فيه . فاذا اجتهد في اعزاز ولده وتفانى في اعلاء شانه فلكي يعتز هو بذلك ويفتخر بالفوز ويتمتع بنوال بغيته . فهو اذن لا يقصد غير نفسه في شخص ابنه . والدليل على ذلك انه لا يحجم عن سحق ولده برجله ان كان يخشى منه معارضاً لمقاصده . فشتان بين حبه هذا والحب الخالص الذي يحمل الاب الحنون على تضحية نفسه بعد كل نفيس في سبيل ولده . ولو عاد عليه ذلك بالخسران

نصرتك على كلّ من ناوأك . كي ارفعك الى اعلى مراقي العز والغنى . . . (مازنًا) اوَانت تخشى اَن يتعذّر عليّ القيام بأعباء هذا الارث من بعدك . . . لا وابيك . . . (بيعض الوعيد) وانا اعرف بدخلة امرك من أن ارضى لنفسي بالخيبة والفشل . . . ترى هل نسيتَ أنّك ذات يوم قلت لي « سِرْ باموري للنزهة على النهر » . ففطنتُ لنظراتك وادركتُ معناك . فسرتُ بالصبيّ في زورق . . . وما كانت الاّ حركةٌ خفيفة زجّت بهِ الى قعر النهر . واذا بك توسع الخطى نحوي وتصرخ صراخ الثكلى . فألقيتَ بنفسك الى الماء ونشلتَ الغلام من اللجة [1]

ريموند لأني طرقت مسامعي كلمة . وهي أن اموري ولدي . . . (سمع صوتًا فيلتفت) صَه فقد وافى الملاّح

---

(١) قبح الله وجهك يا راعول . خنت الواجب والشرف والمروءة طمعًا بالارباح . فتعلم الآن و بعد الآن ما هي عاقبة الخائن اللئيم . يغره الناس بالمواعيد ويستخدمونه لبلوغ حاجاتهم . ومتى قضوا وطرهم واصبحوا في غنى عنه رذلوه وطرحوه على المزابل . فعليك يا راعول ما جنت يداك

المشهد العاشر

ريموند . راعول . ايمار (ينزل من الزورق و يقف ما بين الاثنين)

ايمار (لراعول) ناديتَني يا سيدي

ريموند ولبّيت النداء كما يعهَد بخادمٍ امين مثلك

ايمار (ببعض التهكم) اصلح الله الامير . كلٌّ يسارع الى العمل باشارتك

راعول (على حدة) الا يُلمِـع اليّ هذا الشقي ويسخر بي

ريموند (ملاطفاً) كان اصحاب القصر الذين سلَفوني يودُّونك ويُحلُّونك محلاً رفيعاً . وقد عوّلتُ على اكرام مثواك كما فعلوا

ايمار (ببعض تهكم) هذا ما تبغي ؟ لعمري انك معـدن الكرم وليس في البلاد الاّ من يُقِرّ بما انطويتَ عليه من السخاء

راعول (على حدة) اعوذ بالله من دهائه

ريموند انه لأعوام قليلة خلَتْ بعد فقد والدك هجرت امُّك القصر . . . ولم نكُ نعلم سبباً لهجرانها

ايمار (برارة وتهكم) اجَل. بعد فقد امراء مونفور صدرامر بربري ولم نكُ نعلم له سبباً . فطُرِحتْ على ضفةّ النهر امرأة

الجندي الامين . لا مأوى لها ولا قوت. فرثى لحالها بعض
القرويين ونصبوا لها كوخاً هناك . وهناك اسكنُ وايَّاها

ريموند أترغب في الدرهم والدينار

ايمار (بازدراء وبرودة) ليس لي في المال حاجة

ريموند اذن ستعود الى القصر . فانت فتى شجاع . يليق بمثلك
ان تنتظم في سِلك حرَّاسي

ايمار لستُ من اهل المطامع

ريموند لا باس.فتعود وامّك الى ما كنتما عليه في عهد مونفور . . .
ألاَ بربّك يا ايمار. اتذكر ايام فشا الوباء في هذه البلاد
فوُكل الى امّك امرُ غُلامين لتذهب بهما الى غير مكان
وقايةً لهما من فتكات الوباء

ايمار (كالعارف بالامر) اموري ولدك واموري ابن سيمون

ريموند هو ما تقول .فمات احد الغلامين . . . وقد زعمتْ امُّك
انّ الميت ابن الاميرْ . ثم نقضت قولها فاثبتت عكسه .
ولم تلبَث ان عادت الى كلامها الاول فقالت بان الغلام
الحي ولدي . امَّا الان فحالها لا تمكّنها من التصريح بالواقع
. . . لكنك لا يخفاك الامر . . . (متلطفاً) افِدني بحياتك.
أليس الصبي الحي ولدي انا

ايمار (بدهاء) ربّما

ريموند جُعلتُ فداكَ اهو ولدي ام ابن سيمون

ايمار هذا ام ذاك · فقد كانا مِثلَين · كأنهما قُدّا من أديم واحد

ريموند (كانه لا يبالي) لا بأس من التصريح الان · اذ هلك الغلام الثاني · كما لا يخفاك

ايمار اذن ما همُّك من معرفة الحقيقة · حيثُ لا نقوى على ردّ ما فات

ريموند (متوسلاً) اه · إنك لا تدري بقلب الوالد وما يقاسي ... ناشدتك الله · جاوب صريحاً · ان كنت ممن تهزُّهم عاطفة الامتنان · فاني عوّلتُ على أن اغمرك بالمواهب

ايمار (بازدراء وتهكم) اشكر لك

ريموند ايروق لك أن املأ زورقك ذهباً وضّاحاً . قل لي بربّك اهو ولدي

ايمار ربما ... لستُ ادري

ريموند بل تدري · بل ترثي لحالي . بل ترحم دموعي . لك منّي ما تطلب · فلستُ أمنع عنك شيئاً ... وإنْ شئتَ أنطرح على قدمَيك (يركع على رجل واحدة)

ايمار (باحتقار وتحمس) كفاك تذللاً · كفاك · ايها الافعى (يقف ريموند) . . . أَوَ انا ارثي لحالك فهل رثيتَ لحال امي هل رحمتها · · · إنّ الغلامَ الثاني حيّ . فلو كان ميتاً لما انطرحتَ على قدميّ

ريموند (لا يزال متوسلاً) بربِّك أفدني

ايمار (متشفياً) لا تعرف الحقيقة عن الغلام ولنْ تعرفها · فلستَ تضمّه الى صدرك مخافة ان يكون سليل من ضحيّتهم ولا تجسر على قتله لئلا تسفك دمك بيدك · · · فهكذا · هكذا . تتقطّع كبدُك يا خائن اسيادي يا قاتل الامراء (١)

ريموند (وقد تنمر غيظاً) اذن تموت يا شقي (يسحب خنجره فيبعد عنه ايمار الى جهة راعول) دونك راعول (يسحب هذا خنجره فاذا بيد سيمون تقع عليه فتطرحه على الارض — فوز ايمار · انقباض ودهشة ريموند)

---

(١) لقد شق علينا ان نرى ايمار وحيداً بين الشقيين وخفنا عليه من غدرهما · ولكن بقي لنا بعض الامل بدهاء ايمار وتجلد ريموند · اما الآن فقد انقطع الرجاء · نعم اننا نجلّ تحمس ايمار ولكننا لا نعدّ تهوره من باب الحكمة لعلمنا ان ريموندعيل صبره فلم يعد له جلد

المشهد الحادي عشر

ريموند . راعول . ايمار . سيمون منقباً . ثم خفراء . ثم الفارس الاسود

سيمون (ورجله على صدر راعول) ان تحرَّكتَ ايها الافعى سحقتُك برجلي (لريموند) وانت يا ريموند الفارس الخائن . موعدنا غداً الساعة السادسة . حيثما يلتئم الامراء والفرسان ليحاسبوك على اعمالك في خلال العشرة الاعوام . واني بحضرتهم أَنشرُ ما طُوي من ماضيك واطلب منك يا خائن قضاء الله . والآن أَمام شريكِ خيانتك . وعلى مرأَى من ابراجك التي لا تدفع عنك . اقذف بوجهك قفّازي [1] (يقذفه بالقفاز)

ريموند (مرغياً) هذه الاهانة . أَغسلها بدمك . . . ويلاه . اني اعزل . . . اليَّ هوك . ايها الجنود اليَّ

ايمار هيَّا بنا ايها الفارس (يدخل الخفراء بالسلاح) لم يَعُد من

---

(١) القفاز من الملابس ما يغطي الكف . ويعرفه العامة باسم الكف . وكانت العادة في القرون المتوسطة ان الفارس متى اراد ان يطلب احداً للبراز يرمي قفازه بحضرته . وهنا رماه سيمون بوجه ريموند مبالغة في الاهانة

سبيل (يسحب خنجره و ينضم الى سيمون الذي استل سيفه فاوقف الخفراء راهبين)

ريموند (للخفراء) دونكم ابن اللئام (يهجم الخفراء فاذا بالصخر انفلق وبرز منه الفارس الاسود . وكان الخفير روبر محاذياً له . فيصرخ خوفاً و يفرّ . فيتبعه بعض الخفراء و يقف الباقون واجمين)

الفارس (بجلال لريموند) انت الخائن . انت القاتل (ياخذ بذراع سيمون و يذهبان الى الزورق و يتبعهما ايمار . و يقف الباقون كالاصنام خوفاً ودهشةً)[1]

---

(١) ما اجمل هذا المشهد وما اشده وقعاً في النفوس . فان سيمون قلق لطول غياب ايمار او سئم البقاء في الكوخ فاخذ يمشي في نواحيه وسمع كلام ايمار فاشفق عليه ان يصيبه مكروه فبادر الى نجدته ففرّج كربته وكربتنا . لكن ما لبث ان وقع واياهُ في شرّ ورطة ... على ان الفارس الاسود برز كعادته فانقذهما . وقد رأيناه دخل الباب الخفي وكدنا نذهل عن وجوده بالقرب منا . حتى ظهر وفعل كأنه يد الله على الاشرار — ولا بد من تدريب الممثلين مراراً على اتقان الحركات في هذا المشهد نظراً الى صعوبتها . فان اقلّ خلل فيها يذهب بحسن رونقه

قد عرفنا كل الاشخاص . وعظم تشوّقنا بازدياد اشتباك الاحوال . وان نكن سررنا بفوز سيمون وانصاره . فان سرورنا يشوبه الخوف من خطر نتوقعه . لان ريموند علمنا من نفسه انه لا يتخلى عن فريسته وهو لم يزل السيد المطاع

لا يخلو هذا الفصل من بعض الاسهاب لاسيما وقد تكرر فيه بعض ما جاء في الفصل الاول

الفصل الرابع

يمثّل المرسح احدى القاعات في قصر مونفور

١ يمينًا نافذة — شمالاً كرسي وطاولة عليها الواح من شمع للكتابة
٢ « باب خفي — « باب يؤدي الى القصر
٣ « باب الى مخدع اموري « سرير

في ليل تلبدت فيه الغيوم يتخللها احيانًا ضوء القمر ظاهرًا من النافذة

اموري · ريموند · راعول · سيمون · ايمار · روبر · الفارس الاسود
غلام · قرو يان

المشهد الاول

اموري (بازاء الطاقة ينظر الى الخارج)

لستُ ارى شيئًا ... لقد علّلتُ النفس انه يعود الى
ضِفّة النهر فاراهُ تحتَ اسوارٍ تهيج منـه العواطف ...
للهِ من هذا الغريب . فاني قضَيتُ ليلي أَتمثّل صورتـه
... لم يكن رابطٌ بين عباراته . . . على انها كان لهـا

فيَ فؤَادي وقعٌ لا اعرف كُنهَهُ ... لَعَمري . قد رايتُني أَرثي لحاله ... فليتَ شِعري مَن يكون هـذا الفارس الغريب ... انّ الظلام حالَ دون اَن اتميَّزه · نخفيَتْ عليّ ملامحه وأُشكل امره ... كيف لم أسالْه · فلعلّهُ صديقٌ لنا دنا من الاسوار ... (كمن استنار عقله) يخطر لي انه [1] ... (بحزن) لا لا أَضغاث احلامٍ ... على ان الفارس الاسود بشَّرني انّ والدي لم يزل حيّاً ... (بلهفة) الهي انت السميع القدير · اجَبتَ دعائي فارسلتَ اليّ في الفارس الاسود صديقاً حميماً ... افلا تردُّ عليّ والدي الحنون (يتكىء على الطاقة مسرحاً نظره في الخارج)

المشهد الثاني

اموري · ريموند (من باب القصر)

ريموند (يدخل همساً و يقول لنفسه) مَن لي بكشف السرّ فأُعطيهِ

(١) نرى هنا ان اموري منعه الاضطراب في الفصل الثالث من ان يتثبت الغريب الذي صادفه في ظلام الليل · لكنه ما سكن روعه الا تنازعته الافكار وحدثته النفس ان الغريب هو ... والده · لكنه يغالط نفسه قبل ان يستتم هذا الفكر · وهكذا يبقى بين شك و يقين بين خوف ورجاء

نصف ما ملكتْ يدي ··· لعلَّ اموري يعرف نسبهَ ·
فانّ ايمار كان عشيره زمنًا طويلاً · وربما كشف له
الحجاب عن دخلة امره... اما وقد جئتُ لاستطلاع
الخبر فلا بدّ من الاقدام ··· (يناديه بتلطفٍ) مولاي

اموري من ذا يناديني(يلتفت فيرى ريموند فيزدري به) ها · العبد
المسوّد · فما شانك···انها لاَولُ مرة دخل عليّ عدوّي
كاشفَ القناع ··· اوَكان ذلك ليشمتَ بي في
سجني واحزاني

ريموند ليس لي من مقصد سوى ما به خيرك يا مولاي (يأخذ
الكرسي ليجلس عليها) وقد جئتُ لافاوضك في ···

اموري (يقاطعه بعظمة) وراءَكَ لا امَّ لك · ايها العبد السفيه ·
فانا امير دي مونفور . ولا يكلِّمني مثلُك الاَّ واقفًا حاسر
الراس

ريموند (متزلفًا يقف ويكشف عن راسه) أُكلمك واقفًا حاسر
الراس · وانا اوّل من وطَّن النفس على ان يحيّي فيك
سليل الامراء

اموري تبًّا لك من مخادعٍ

ريموند مولاي · لستُ جديرًا بمثل هذا التعنيف · · فاذكر

يا رعاك الله انه لاربعة اعوام مضت · نشلتك من لجة النهر يد

اموري أَذكر ولا انسى انّ يدًا زجتني في الماء هي يدُ قرينك في اعمالك

ريموند انّ يدًا انقذتك هي يدي

اموري (هازئًا) تُرى ! وحقّي لم يكن ذلك ليخطر ببالي · وقد دار في خَلَدي انك عدوّي الالدّ · · · بربّك يا ريموند خاطرتَ بنفسك فداء ابن شيمون · · · اوَ لم تكن وقتئذٍ نفس العبد المتملّق في ايام ذلّه وكاشِف القناع يوم دانت له الايّام · · · او لم تكن وقتئذٍ نفس العامل الخائن الغادر بالامير العظيم وليّ نعمته . او لم تكن وقتئذٍ نفس المؤتمَن المكّار الذي شتّت شمل ساداته وطرحني في اعماق السجون

ريموند (بدهاء) بلى كنت ولم ازل ذلك العبد . ذلك العامل الذي ارتقى من ادنى الدركات الى اعلى المراتب فاصبح قرينًا للامراء . انا ذلك الرجل ذو المطامع الذي دانت له الايام . ذاك الرجل كما أَطنبتَ في مدحي · · · انك تعرفني يا اموري · · · ولكنك تجهل من انت · · · فما

يكون شأنك لو قيل لك ان هــذا الرجل لم يكن له الاَّ غاية في مساعيه وامانيه حتى في جرائمه نفسها . غاية وحيدة ... انت . وحدك . انت

اموري (هازئًا) انا ؟

ريموند قلتَ اني غرَّرتُ بنفسي فداءَ ابن سيمون ... فداءَ ابن سيمون ؟ .. كلاَّ ثم كلاَّ ... (مظهرًا التحمس) امَّا فــداء ولدي . ولدي انا . فبمَ لا اجود . وايَّ المخاطر لا اتجشَّم في سبيل وحيدي

اموري (بأنفة) ريموند قولك هذا ...

ريموند (يقاطعه) قولي هذا هو الصحيح . انت ولدي . انت

اموري (باحتقار وتحمس) انا؟ .. انا الذي حفَّت بي الخدم والحشم عشرة اعوام ؟ .. انا الذي ربيتُ في خدر امي الكريمة وقصر ابي الهمام . انا الذي ضمَّني الى صدرهم امراء مونفور اكون . ابن . ريموند الخائن . عدوّ اجدادي الامراء ؟ .. لا لا ... فما انت الاَّ تعدُّ مكيدة جديدة . واني لأَتوقَّع من كلامك دسيسة شيطانية ... على اني لستُ من يغترُّ بقولك ويقع في حبائلك

ريموند (يكظم غيظه متلطفًا) انه لأَعوام مضت أُبعِد من هذه

الديار طفلان . اشفاقاً عليهما من الوبـــاء الذي اشتدّت وطأته في ضواحي القصر · فأحدُ الطفلين اموري ابنُ سيمون دي مونفور . والثاني ولدي اموري ··· تلك حادثة كرّت عليها الاعوام . ولا ريب انّ ايمار الملاّح ابنَ المرضع المجنونة اخبرك بذلك

اموري انّ ايمار خادم امين ·شهم صادق عاملَني بما يليق بامثالي

ريموند (متلطفاً) اموري !

اموري اجل · لم يكلّمني الاّ كما يكلّم الخادمُ الامين سيّدَه... اوَ تسمع · ايها العبد السفيه (1)

ريموند (لنفسه) ما اهون هذه الشتائم . لو تسنّى لي معها جلاء الغامض

اموري (متابعاً بتحمس متزايد) ولو اخبرني ايمـار بمثلها مصيبة · لَدعوتُ على نفسي بالموت ··· انا · ابنك ؟·· لا لا

---

(1) ما اعظم اعجابنا بحماسة اموري وعزّة نفسه · ولكن ما اشد خوفنا عليه من هذا التحمس · حتى نكاد نصيح به : عليك بالحكمة والتجلد يا فتى ولا تغرر بروحك

ويسرنا وايم الله ان نرى ريموند ذليلاً مهاناً متزلفاً الى غلام صغير هو اسيره

... يشهد بذلك حبيّ لمن خنتهم . يشهد بذلك مـا عاملتني به من البغض والضغينة ... يشهد بذلك احتقاري لك ايها النذل الخائن (يرشقه بنظرات كالسهام ويمرّ وراءه ذاهباً بعجلة الى مخدعه)

المشهد الثالث

ريموند (ضائعاً جامداً) . راعول
(وقد دخل حاملاً رداء طويلاً اسود ومشعلاً وسلاسل وقوساً)

راعول ليس هذا بولدك يا ريموند . والامر واضح . فتى نبغ من معشر الثعالب اسد ؟ ان في عروقه من دم المونفور. وفي قلبه أَنَفتهم وحميّتهم

ريموند (كالنمر يتمشى) ولكن . في عروقي . من دم ريموند. . . اه. من لي فأتيقَّن يقيناً انه ابن سيمون ...

راعول على مَ عولت

ريموند (بكمد) لستُ اعلم ... (يكظم غيظه) عليّ بالتأَني فهو خير لي

راعول ان الوقت دهمنا . فانك قابلتَ الفارس نوميس اليوم . بحضرة الامراء والفرسان . وقد شاع ان البراز بينكما قريب

ريموند نعم · غداً · في خرائب الدير · بين مدافن مونفور . . .
(بسرور وحشي) لكن · قبل الساعة المعيَّنة · يموتُ احد
المتبارزَين · فقد حملَتِ الحماقة الفارسَ نوميس على انكار
صحَّة ما شاع عن الفارس الاسود · وآلى على نفسه اَن
يطاعن وحده ذلك الشبَح. هنا · في هذا المكان · عند
انتصاف الليل · ولا يلبث اَن ينفخ في البوق · اشارة
الى حضوره لمبارزة الشبح . . . (بنظرات معنوية) فهـذا
براز يمنع براز الغد

راعول ولذا طلبتَ اليَّ هذه الثياب للتنكُّر ؟

ريموند نعم · نعم · فلا بدَّ من شبح يطاعنه

راعول نخطرَ لك اَنني اقوم بهذه المهمَّة ؟ . . . لا وابيك · فاني
احسب ساعده اقوى وقدمه اثبت من اَن اُقدِم على
مناجزته

ريموند على انك من السلاح في عدَّة

راعول وهو لا ياتينا اعزل — والحقُّ يقال اِنه بطل مرّ لا
يطاق . . . فان شئتَ كُن انت (يعرض عليه الثياب)

ريموند (مصغياً) صه . . . الا تسمع . . . وقع اقدام

راعول (مصغياً) بلى . . . في السلَّم الخفيَّة

ريموند بعداً لك · فلم يكن سواك عالماً بامر السلّم · لقد غدرت بي [(١)] .

راعول (باستخفاف) انا ؟ . . . ولِمَ اخونك · · · دع المزاح وهيا نختبىء وراء الباب فيتَّضح لنا الامر (يذهبان من باب القصر)

المشهد الرابع

سيمون · ايمار (يدخلان من الباب الخفي)

ايمار لا تعجِّل يا مولاي · فليس القصر كما كان موطنَ الشهامة · والزم سيفك فربما فاجأنا من بين الجدران عدوّ [(٢)]

سيمون لا تخفْ باساً · · · على اني لستُ اجد احداً هنا · الم تكن في وهم · · · اوَانت على يقين من انك رايتَ في هذا النهار فتىً صبيح الوجه مطلاً من هذه النافذة

ايمار ما انا في وهمٍ يا مولاي · ولم انسَ لبعد العهد هذه النافذة

---

(١) ما اكثر الاسراب والدهاليز الخفية في العصور الغابرة · فترانا في قلقٍ مستمر · ولا ندري الآن من يكون القادم اعدوٌّ يخشى ام صديق يرجى

(٢) ان نفوسنا لتنقبض عند مرأى هذين الكريمين قد دخلا وتعرّضا للهلاك على حين غفلة · و باحا بسرّهما على مسمع من عدوهما الالدّ · ولا نكاد نتمالك من استلفات خواطرهما الى وجود ريموند وراء الباب

وهذه القاعة التي كنتَ نتردد اليهـا فتُشْرف منها على نهر الغارون والمروج الخضراء ٠ وكنّا معشرَ الملاّحين نسمّيها قاعة الامير سيمون

سيمون (يتنغص) اجل ٠ كانت تقرُّ عيني بهذه المشاهد وانا في ريعان الشبيبة . . . سقى الله ايّامًا توفرت لي فيها اسباب الراحة والهناء ٠٠٠ فوالدان يحنُوَان عليّ ٠ وقرينة طاهرة كريمة ٠ وطفل اشبـه بملاك ٠٠٠ ايام نقضّت كالاحلام ٠٠٠ وولج قصر ابائي خائن لئيم ٠ ففتك بقرينتي ٠ وانا ٠ انا ابنَ الاشراف ٠ نزلتُ الى هاوية السجن ٠ وربما الى وهدة القبر ٠ لولا انّ الله قيّض لي ملاكاً انقذني ٠٠٠ ولكن ما الحياة بحياةٍ لي قبل أن اجتمع بوحيدي واضمّه الى صدري ٠٠٠ يا الله قد انهكتني المخاوف والريَب

ايمار لا يخامرْك ريْبة يا مولاي ٠ فقد شهدتَ البارحة مـا فعل الشقي ليحملني الى الاقرار ٠ ولقد سمعتَ ما انطقه به الغضب ٠ فثبتَ لنا منه اَنَّ ابنك حيٌّ معافى

سيمون بالحق نطقتَ ٠ ولكني لا ازال في خوف ٠٠٠ فربما دفعه الغضب الى ٠٠٠ اه ٠ انّ ريموند خائن لئيم لا يرعى ذمّة

ايمار	ما مِن خوف يا مولاي · فالله يرعى ولدك بعينه الساهرة وهو تعالى اوحى اليَّ أَن أُلقي الرَيب في قلب ريموند يومَ عمد الى قتل سيدي اموري · فانه الان في حال من القلق لا يجسر معها على قتله ··· فولدك حيّ ··· لستُ عالمًا بمكانه ··· انما انا موقن انه حيّ في ريعان العمر

سيمون	اذن فلنجدَّ في طلبه . ولا يأْخذْنا الملل · اترُى في قصرنا عطفة لم اتبيّنها · هيّا فقلبي يهديني · ولا بدَّ أَن نصل الى مقرّه . . . وليست تخفى عليَّ ملامحه · ولو طال عهد الفراق ··· (بجنون) أَلا بربك يا ايمار . أَليس يُشبهُ امهُ . أَهو جميل المنظر . اهو طويل النجاد

ايمار	اذا نظرتَ اليه قرأْت سطور الكرام في وجنتَيه . واثار الشهامة تلمع بنوز اساريره · وهو قويُّ الساعد ليس في هذه الاصقاع من يفوقُه مهارةً في ادارة زورق على النهر او يطاعنهُ اذا هزَّ القنا . فبمثله تفتخر الفرسان

سيمون	فدتْك نفسي يا ايمار · فقد طفح فؤادي سرورًا لما ذكرتَ فلنسعَ بلا مهل

ايمار	(ينظر فيرى الى السرير) هاك سريرًا

سيمون لا شكَّ سريره . . . انه قريباً منا . فالعجل (يهزّ باب القصر) الباب موصَد . ولا بدّ من كسره[1]

ايمار (متوسلاً) عُد الى نفسك يا مولاي . فقد دخلتَ من السلَّم الخفيَّة . ولا يدري بمجيئك احد . إنّ قرقعة الخشب تفضحنا فتذهب مساعينا ادراج الرياح . فاذكر يا اعزَّك اللهأ نه عمّا قريب عدوّك نفسه يفتح لك ابواب القصر . فحذار

سيمون (مستكناً) صدقتَ . وليس لي آن انسى آنّ الفارس نوميس انكر بحضرة الامراء صحة ما شاع عن الفارس الاسود وآلى على نفسه ان يبارز الشبح . الليلة في هذا المكان . . . فسِرْ بنا . . . انما ليت لي أن أُخبر وحيدي . . . علامة . . . اشارة

ايمار (يسرّح نظره فيرى اللوح) مولاي . لوح للكتابة على الطاولة

سيمون نِعِماً الراي (يجلس و ياخذ اللوح و يكتب قائلاً بصوت عالٍ ما يكتبه) « حبيبي اموري . . . لا تخفْ شرًّا . . . فابوك حيّ . . . وفي هذه الليلة يجتمع بك . . . ويخلّصك من

---

(١) ان خوفنا لفي ازدياد . اما الان نقد مبلغ اشدّه بلغ . فبتنا نتوقع هجوم ريموند وشريكه على سيمون وايمار والفتك بهما

سجنك ... ويضمك الى صدره » ... نعماً الرأي ... ولكن من يضمن له صحة ذلك ... ألا يتبادر الى ذهنه انها مكيدة جديدة

ايمار هاك مولاي طابعاً عليه رسم والدي . وسيدي اموري يعرفه ويعلم يقيناً أنني لا اتخلّى عن هذا الرسم حياتي كلها . وله بي كل الثقة . فاطبع الرسم على اللوح . فلا يبقى لسيدي اموري ريب

سيمون (ياخذ الطابع) سقى الله ارضاً انبتت مثلك يا ايمار . ولا عدمتك وفياً (يطبع) ضع هذا اللوح وهيا لمقابلة ريموند .
(يعود من الباب الخفي)

ايمار (يضع اللوح على السرير) سرْ يا مولاي على بركة الرحمن . وانا ابقى في السلم الخفية مترصداً . لأبادر الى معونته او اموت فداءه (يمضي)

المشهد الخامس

ريموند . راعول

راعول لحاه الله . خيل لي أنه يقضي العمر ذاكراً نادباً . قد ضاق صدري منصتاً الى الباب

ريموند (منكرًا مطرقًا) مهلاً واخفض

راعول مالك لا تنطق ببنتِ شفة · أَوَعيتَ ام أُعيدُ عليك حديثها حرفًا حرفًا

ريموند ما من حاجة · فقد وضح الخفيّ. وما الفارس نوميس الاّ سيمون دي مونفور · سيمون بعينه

راعول وقد قلب اسمه · إِنها لحيلةٌ لطيفة

ريموند (بحرقة وغضب) اه ثم اه · لقد فرَّطتُ في امري · الآن بدتْ لي نتيجة اهمالي · لم افطن الى تغيب جرار بعد أَن حكمت على السجين بالقتل ... فقد جرى ما اذهلني عنه · ولا ريب أَن ذاك الجبان عدل عن مجاراتنا الى مضافرة السجين · ففرَّ به هاربًا. وما إِخال السجَّان الاَّ قُتل بدلاً من سيمون[1]

---

(١) ورب معترضٍ استغرب تهاون ريموند في امر سيمون · كيف امر بقتله ولم يدخل ليثبته بعد موته وقبل طرحه في النهر · وكيف اجتمع به في الفصل الثالث ولم يعرفه واجتمع به ايضًا امام الفرسان ولم يعرفه كما نستفيد من حديث راعول في بدء هذا الفصل

فنجيب ان ريموند لم يعد يدخل سجن سيمون عن خوفٍ من الاجتماع به بعد ان لعنه فضلاً عن انه عرض له من الطوارئ ما اذهله وكان له شغلاً شاغلاً · وما عدا ذلك فانه كما قال في الفصل الثالث كان على ثقة

راعول أَلم أُنبهك الى امره وانقلاب حاله · ولا سيما بعد أَن طلع الفارس الاسود · فلم تكن تصغي الى · · ·

ريموند (يقاطعه) دَع ذكر الماضي. ولا تأَسف على ما فات · ولكني اجتهد في عرقلة مساعيهم وافعل بهم فعالاً يشيب لها الوليد. (بغضب متزايد) اموري · منذ هنيهة كنتُ اجود باموالي لأَقفَ على السرّ · اموري ابن سيمون؟ اموري دي مونفور؟ وليست تصلُنا رحم · · · فانا · انا الان ريموند · لقد دبّ الحنوّ خلسةً الى قلبي اخذ منه البغض والمطامع · · · اليك عنّي ايها الحنوّ. وتصلَّب يا قلب كالصخر · فإِنك قلبُ ريموند. ابي الاهوال. كنتُ اخشى أَن أُلحقَ اذى بولدي. اما الآن فلا يهنأ لي

من امانة السجان ومناعة الاسوار وهمة القاتلين اللذين ارسلها على سيمون · وهذا لم يكن في السجن غيره · ولكن الان تجلت له حقيقة الحال بيدَ انه لم يعرف بعد كيفَ اتفق خلاص سيمون

اما اجتماعه بسيمون من غير ان يعرفه فلا نظنه مستحيلاً اذا علمنا ان سيمون كان يظهر عليه منقبًا · ولا ريب انه كان ينكر صوته · فضلاً عن ان ريموند كان معتقدًا مقتل سيمون منصرف الهمة الى استطلاع خبر الفارس الذي يحسبه غريبًا · وعلى كل حال فلا ننسَ ان الخائن مع شدة دهائه كثيرًا ما ينخدع · وطالما اوقعه الحذر في السهو والهفوات الوخيمة العاقبة

عيش بسوى الفتك والقتل

راعول (متذمرًا هازئًا) لم يبقَ من خوف على ولدٍ له . فيُقْدم على العظائم . أمّا نحن فلم نكن ليعبأ بنا ... تلك حالة مَن يخدم ذوي المطامع

ريموند (مرغيًا) ايها الامراء لقد ارغمتموني على الذلِّ بحضرتكم . فتحككتْ عقربكم بالافعى ... وانت يا من قُمتَ من اعماق السجون . تناجزني . اتدري ويل امِّك من تناجز؟

راعول (على حدة) لقد راعني مرآه

ريموند سيمون . سيمون . خيرٌ لك لو بقيتَ في وهدة القبر دفينًا (لراعول) هات اللوح

راعول (مضطربًا) مما عنَّ لك (يذهب فيحضر اللوح)

ريموند ستري (يجلس) لا بدَّ من بلوغ المرام . وويلٌ لمن اعترضني في طريقي . فأجعله موطئًا لقدمي ودرجة ارقى عليها درجة ربما تخضّبتْ بالدم (كاشرًا) يقال ان القدم تزلُّ على سلَّم مخضبّة بالدم . لنمتحنْ صحّة ذلك (ياخذ اللوح ويمحو الكتابة مارًّا يده عليها بضغط) يبقى رسم الطابع كي لا يخامر الغلام ريب . (لراعول) امَّا انت فالقِ على السرير الرداء والمشعل والسلاسل . واترك ايضًا قوسك

(بمعنى) فسيدي اموري في حاجة اليها

راعول (واجماً) اهو يكونُ الشبح

ريموند (بسرور وحشي) هو هو يبارز الفارس نوميس[1]

راعول (بدهشة واضطراب) براز بين الوالد والولد؟ اخزاك الله فابليس نفسه اعيا عن مثلها مكيدة (يضع القوس باسفل السرير)

ريموند (يضع اللوح على السرير) لقد حانت ساعة اسحق اعدائي برجلي (صوت بوق في الخارج) ها قد وافى الفارس نوميس قياماً بالوعد . (بهياج) فلتندبك النوادب . بدارِ بدارِ . فكل شيء تهيأ . تعال . فامامك تفتح وهذة القبر لا ابواب القصر

راعول (خائفاً) عُد الى نفسك لئلا يخونَك الجلَد فيفتضح امرنا . . .
(ينصت) وقع اقدام

---

(١) لما دخل سيمون وايزاروكان لها ريموند بالمرصاد اوجسنا خيفة عليها و بتنا نتوقع لها من مكره شرًّا حتى انجلت لنا مقاصده الجهنمية . ولا شك اننا توقعنا من كتابة سيمون على اللوح اعظم بلية . وما الأم راعول . يستفظع عمل ريموند و يشاركه فيه غير مبالٍ بشرط ان يربح

المشهد السادس

ريموند . راعول . اموري

اموري (واقفاً بباب مخدعه يقول لنفسه) الشقيّان في المفاوضة . . .
(يتقدم و يخاطبهما بهزء وحزن) الا ايها الفاضلان هل تعيّن
يوم خلاصي من السجن. وايكما يطعن صدري . اذ لااخال
أني اقضي حياتي في ظلمات السجون

ريموند (بمعنى) ليس من سجن الا دخل اليه بعض التعزيــة .
نخذ من الراحة نصيبك . فقد كاد ينقضي الليل (لراعول)
ونحن سِر بنا لملاقاة ضيفنا الذي نفخ في البوق (يذهبان من
باب القصر)

المشهد السابع

(اموري . يبقى حصةً مطرقاً مفكراً)

ليس من سجن الا دخل اليه بعض التعزية !!! لقــد
نطق بالصواب . ولكن ما عنى بقوله . . . هل ألمع الى
الفارس الاسود . ام ترى ظهر صديقٌ جديد خاطر
بنفسه توصلاً اليّ . . . ان كان ذلك فهو لا شك ابقى لي

علامة يُرشدني بها . . . ولستُ اجد شيئاً . . . (يسرح انظاره فتقع على السرير) ارى السرير لم يعدْ كما كان . بل انقلبت هيئته . . . (بدهشة) رداء اسود . مشعل . سلاسل . . . ما يكون . . . لوح (يقرأ) «الى اموري» . . . الى اموري ! هذه اول رسالة وردتني . وقد مرّ عليّ اربعة اعوام في سجني «يدخل عليك الى البرج عند انتصاف الليل رجلٌ غريب» اللّهم . . . «فالقاتل جبان . فتنكّر انت بهذا الزيّ . فيخاف منك ويفرّ هارباً . وان كان لا يتولاّك الجزع فخذِ القوس وأَرسِل سهماً الى كبدِ عدوّك . ولا شلّت يمينك» . . . وعلى هذا اللوح رسمٌ اعرفه . صورة والد ايمار . (بارتياح) لا ريب انّ هذا الفتى الكريم ولج سجني معرّضاً نفسه للتهلكة في سبيلي . . . عليّ ان اعمل بما اشار (يلبس الرداء ويقول بفوزٍ) ريموند ايها الخائن . او كانت هذه الليلة المشؤمة آخر ما بقي من عمري . كذب فألك[1] . . . (يربط بها يديه) . وهذه القوس (يحملها) . الهي لو يأتي اليّ ملاكي الفارس

(١) مسكين اموري يستبشر بالفوز وهو لا يعلم بمكيدة ريموند . اما نحن فعلمنا بالحقيقة يقطع كبدنا

الاسود (اصوات ونور في الخارج) حانت الساعة الهائلة (بخوف) رباه · رباه · اعني في هذه الساعة ...
(ينظر الى الخارج فيستغرب) ريموند يصحب القاتل ؟ الهي اللهمّ · وشدّد عزائمي وقوّني على الدفاع عن حياتي
(يذهب الى مخدعه)

المشهد الثامن

ريموند · سيمون (منقباً) · غلام (يضع ضوءا و يذهب)

ريموند قد بلغنا ساحة البراز يا سيدي نوميس
سيمون الان يا صاحب القصر خلّني وشاني
ريموند او انت من السلاح في عُدّة يا سيدي
سيمون اجل · فليهدأ روعك · إن كان عدوّي من عالم الارواح فلستُ اخاف شرّا لاني بريء الساحة طاهر الذيل · وإن كان من البشر متنكرا فلي حسامي البتّار
ريموند حذارِ يا مولاي · فانّ الارواح رشيقة الحركة · وما يجديك حسامك لو أبى خصمك الاّ البقاء بعيدا · هاك قوسا مولاي · فالسهم يجعل البعيد قريبا
سيمون لست ارغب في رشق السهام ... لكن ربما ابى خصمي

الاّ البراز عن بعدٍ . فأَبقِ القوس لعلّ أَن تمسَّ اليهــا الحاجة (ياخذها و يسندها تحت النافذة)

ريموند اوَانت على يقينٍ يامولاي أن تبقى رابط الجاش بحضرة عدوٍّ قذفته الجحيم

سيمون لا اعتدّ به كما لا اعتدّ بمن ابارزه في الغد . فخلّني الآن لشاني . وموعدنا غداً في خرائب الدير

ريموند لا تؤَجّل موعدنا الى الغد يا مولاي . بل تأْذن لي أَن أُوافيك الى هذا المكان فأُهنّئك بالنصر بعد انتصاف الليل

سيمون لك ما تشاء . فانك لا تزال حتى اليوم صاحب القصر المطاع

ريموند (على حدة) ولن ازال الى الابد (يذهب من باب القصر)

المشهد التاسع

سيمون (يكشف النقاب و ينظر الى السرير)

لست ارى اللوح . فاموري لا شكّ وقف على الرسالة[1]

(١) لقد كانت عبارة ريموند الاخيرة كالسهم النافذ خرق فؤادنا ووهم سيمون يزيد في لوعتنا

فلا يأخذه خوف اذا سمع صليل السيوف وخشخشة العدد ·
اه لو يدري اني قريب منه · مَن لي بأن اجتمع به
حصّة فأضمّه الى صدري فتحيا نفسي ... لينعمْ بالك
يا ولدي فانّ يدًا قويّةً تناضل عنك · وغداً يخرّ عدوُّك
مجندلاً بضربة حسامي فتفوز بالحرية وتسود في قصر
آبائك الموقور .. فحبًّا بك وحدك وفي سبيلك ابغي
النصر (يدق نصف الليل) دقّت الساعة ... الهي · ما انا
مَن يخالف أحكامك · ان كان خصمي من الاشقياء
اتى يدنّس هذا القصر الشريف · فويلٌ له · وما انا الاّ
استمدُّ القوة من يمينك القادرة ... (للشبح في الخارج)
هلمّ · فاني بانتظارك[1]

المشهد العاشر

سيمون · اموري (متنكرًا بالرداء حتى لا يظهر له وجه وبالسلاسل وفي يده المشعل موقودًا)

سيمون ها هوذا (يردّ النقاب على وجهه) ... لستُ ادري ما

(١) ان سيمون الفارس المغوار يتهيب في مثل هذه الساعة الرهيبة فان الامر المجهول له في النفوس وقع اعظم من الخطر الواضح ولو كبيرًا · ونحن ما اشدّ خوفنا على سيمون لا لجهلنا بل لعلمنا بالواقع

تولّاني ... فما ذلك خوف ... كلاّ ولا غضب ...
اراني احنُّ الى هذا الشبَح ... ايَّا من كنتَ إنساً ام
شيطاناً رجيماً لتكشفنَّ القناع (ينقدم اموري كانه طيف يمرّ
بطيئاً) أرضَك لا أُمَّ لك (اموري قاصداً الى القوس عند
السرير. فيوترها ليصوبها الى سيمون) ان تحرَّكتَ فهذا
السهم يخرق فؤادك (وكان قد بادر هو ايضاً الى القوس تحت
النافذة واوترها يصوبها نحو اموري . وفيما هما يكادان يرشقان
السهم ينفتح الباب الخفي فجأة و يقف بينهما الفارس الاسود
يمنعهما فيخفضان السلاح) [1]

المشهد الحادي عشر

سيمون . اموري . الفارس الاسود

سيمون صديقي . مخلّصي
اموري حارسي . ملاكي (يكشف الفارس عن وجه الاثنين)

---

(١) ان هذا المشهد لمن اقوى المشاهد فعلاً في القلوب . فتراناا قد اعترانا الاضطراب المتزايد حتى لا نتنفس . وشخصت اعيننا وكاد يجمد الدم في عروقنا . لو لم يبادر الفارس الاسود فاكرم بـه من ملاك حارس يظهر في الملمات فيزيل الغصة و يكشف الغمة فهـذا المشهد نادر المثال

سيمون　(طائر الفؤاد تقع منه القوس ويخر راكعاً على رجل) ربّي ... ايزابل

اموري　ما دهاك ايها الفارس · بايّ الاسماء نطقتْ شفتاك · ما لعينَيك تنظران اليَّ بجنو · فما انت بخائن يتعمَّد قتلي

سيمون　(يقف) قتلكَ ؟ انا ؟ ... وانت انت · ان لم تكن روح قرينتي الحبيبة · فمن تكون · انت صورتُها · فمن تكون

اموري　فتى منكود الحظ · عاش سجيناً. على اني بالمقام الرفيع اولى . انا ابن سيمون دي مونفور · انااموري

سيمون　(مادّاً يديه كالمخطوف) اموري · وحيدي (يعانقه)

اموري　(بغبطة)ابي · نعم ابي · وقلبي بذا يحدّثني

سيمون　نعم · ابوك · ابوكَ الذي لم يجيَ الاّ رجاء ان يراك · ابوك الذي لم تقعدهُ المخاوف والمخاطر · ابوك وكدتُ امزق حشاءك بسهمي ؟

اموري　ابتاه · انّ الخائن الذي شتت شملنا سعى في حمل الوالدوالولد على الاقتتال فيا للدسيسة الجهنمية · لكن(مشيرًا الى الفارس) هذا الملاك الذي ظهر عليّ يعزّيني في سجني كان ساهرًا علينا فأحبط مساعي اللئيم ووقانا شرَّ برازٍ تقشعرّ منه الابدان

سيمون　(للفارس) هلمّ ايها الملاك الذي سهرتَ علينا لحفظتنا من

كل مكروه · هلمَّ واشهد نعيمنا وهو صنيعك · واذكر لنا اسمك فيردده ولدي في صلواته حتى آخر نسمة من عمره · وعساني أن ابذل دمي فداءك ايها الشهم الكريم [1]

الفارس (وقد اعتزل ينظر اليهما) سيمون دي مونفور · لم تأتِ ساعة فيها ازيل الحجاب وابوح بالسر فاصرّح بما حملني على التفاني في سبيلكم معشرَ الامراء · واسمي لا تسمعه الا غداً بين مدافن الامراء بعد أن تقهر عدوّك وينادى بك الامير الوحيد على بلادك ... امّا الان فاذكر أن الشقي ريموند لا يلبث أن يحضر ليقف على نتيجة البراز · فودّع وحيدك ودَعْهُ يغادر هذا المكان

سيمون (بلهفة) ايكونُ سلامي عليه وداعاً

الفارس غداً تجمعك وإيّاه الدار وقد خفقتْ فوقك راية النصر · بدارِ فالزمان ضاق والمخاطر تحفّ بنا

سيمون انك لتقول الصواب · وما عليّ ان يُذهلني نعيمي عن

---

(١) ان يكن الفرح والدهشة اذهلا سيمون حصة عن الفارس الاسود · فليس ينكر فضله او ينسى انه بعد الله مخلصه وسنده اما نحن فلا نزال نزيد اعتباراً للفارس · وجهلنا دخلة امره يزيدنا اجلالاً له

المخاطر. فعليك يا مخلّصي الكريم بعد الله اعتمادي واليك اسلّم ولدي وهو كنزي الوحيد . فاسهر عليه

الفارس عليه وعليك ايها الامير . وغداً تلقاه في خرائب الدير ... لا بدّ ان نموّه على ريموند فيتوهّم ان الشبح سقط في النهر صريعاً بسهمك (ينزع سهم سيمون تاركاً له القوس و يذهب من الباب الخفي مع اموري ورداءه الاسود وسلاسله تاركاً قوسه وسهمه)

المشهد الثاني عشر

سيمون

اليك اللهمّ شكري . يا من انقذتَ وحيدي من مخالب المنية ورددته عليّ . اشكرك على محنة تُخمد عاقبتها (ينصت الى الباب الخفي) لم أَعُد اسمع شيئاً . لقد بلغا آخِرَ السلّم ... (يطلّ من النافذة) لم يظهرا بعد ... اي ربي ما عاقهما ... اتُرى هناك قتلة أَرصدهم ريموند ... اتميّز زورقاً وفيه الملاّح متأهباً للرحيل ... كأنه يتوقّع نزولهما ... طال انتظاري ولم يتحرّك الصخر.

المشهد الثالث عشر

سيمون · ريموند · راعول · غلام (يحمل قدحين من الخمر على صينية)

ريموند (في الخارج) إلزما هذا المكان فأدعوكما عند مسيس الحاجة (يدخل مع راعول فيقول له) لم يزل الولد حياً · فلا ريب أن صُرع الولد· اذ لا ارى في قوس الفارس سهماً (لسيمون) هُنِّئتَ بالنصر ايها الفارس · فقد أقدمتَ على امرٍ تُحجم عنه اعظم الابطال ولم يُخفِق مسعاك · فلا ريب أن وقع الشبح صريعاً بسهمك · فإني لا ارى سيفك مخضباً بدم العدوّ ولا ارى في قوسك سهماً

سيمون (وقد رجع عن الطاقة عند دخولهما واظهر الجلد) نعم يا مولاي فلم ارَ بدّاً من اتخاذ القوس لانّ خصمي ابى الا ان يبقى بعيداً (ينظر من الطاقه و يقول على حدة)حمداً لله فقد وصلا

ريموند ولا شك أنه سقط من النافذة في النهر

سيمون (وقد اعرض عن النافذة) نعم يا مولاي انّه اصبح في النهر (١)

---

(١) لقد اشتد قلقنا من المشاهد السالفة حتى كادت تزهق الارواح ·واذ ظهر الفارس الاسود انقلب كربنا الى بهجة فأنسنا بتبدل الحال وارتاحت

ريموند لك مني اخلص التهاني على ما اوتيتَ من الظفر . وها انا بادرتُ اقدّم لك في ساحة نصرك خمر الضيافة التي ابيتَ شربها لدى دخولك القصر (يشير الى الغلام فيتقدم) تكرّم ايها الفارس بالقَبول . فغداً نلتقي في البراز . ورفضك الخمر الآن دليل انّ لا ثقة لك في خصمك

سيمون أَشرَب عن طيبة خاطر . انِي البيّك الان كما البيّك غداً بلا تردُّد (يأخذ الكاس) .

ريموند (يأخذ الكاس الثانية) نخب منَ تشرب يا مولاي

سيمون نخب مَن يُسمي صاحب القصر

ريموند نِعمّا القول (يشير بان—للغلام) اليك عنّا (يذهب الغلام بالقدحين) . . . والآن يا مولاى . ايروق لك انَ تسمع قبل انصرافك حديثاً لا يطول (بدهاء) اذ لا يخفاني انّ الوقت ضاق بك .

سيمون هاتِ ما بدا لك

ريموند (بتأنٍّ ويرشقه بلحظاته) إنّ اميرًا من الامراء غاب

نفوسنا الى مشهد نعيم سيمون وابنه . والان ما سمعنا في الخارج صوت ريموند الا مالت قلوبنا الى الهزء به والتلذذ بما يتوهم من قتل اموري . وشتان بين حالتينا

يوماً عن قصره · ولم يقف له احد على خبر . فاستولى غيره على قصره واملاكه . . . وتلك حالة الدنيا

سيمون (متوجعاً و يده على قلبه) أُف · ما هذا

ريموند (بدهاء) اراك لا تُصغي الى كلامي يا سيدي (يقع سيمون على الكرسي) هل بك من أَلَم يا مولاي

سيمون يا للخيانة · سُمّ · سُمٌّ زعاف · يا شقي (يهم بالوثوب على ريموند فيقع واهياً على الكرسي وراسه على الطاولة)

ريموند (كالنمر) سيمون دي مونفور· كذب فألك · فالسُمّ الساري في عروقك قتّال كبغضي لا يبقي ولا يذر[1]

راعول ما أَسرع ما فعل السم · · · سِرْ بنا فقد بلغتَ المنى

ريموند لا · بل ابقى فلا يفوتني شيء من لَذّة المشهد · ولا بد من تثبّت موته فلا ينجو ثانية (يرفع سيمون راسه و يتهلل وجهه كانه يرى مشهداً بهيجاً) ساعة الهذَيان و بعدها الموت العاجل[2]

---

(١) لما رأينا الكاس في يد سيمون داخلنا بعض القلق من ان يكون سماً · ولكن ألهانا عن الامعان فيه انصراف خاطرنا الى فوز سيمون وخيبة ريموند من حيث لا يدري · اما الآن · فقد راعنا مصير الامير وكدّر صافي هنائنا الفشل وضياع الاتعاب

(٢) لا نجد ما نقوله في صلابة قلبه سوى انه قلب ريموند ·

سيمون (متهلل الوجه وفي هذيان) على الطائر الميمون ... الهواء رائق ... الشمس تسطع في السماء ... الوداع ... لا بل موعدنا غداً ... هنــاك الزورق ... من السلّم الخفيّة ... انحدر الى النهر ... نجا نجا اموري[1] ...

ريموند (هائجاً) لعنه الله (يأخذ بذراع راعول الى النافذة) الا تُبصر شيئاً على النهر

راعول (شاخصاً الى الخارج) بلى ... بعيداً عن الشاطئ ... زورقاً ... شبحاً اسود

ريموند هو هو (يبادر الى قوس سيمون فيراها بلا سهم) سهم سهم (يبادر راعول الى سهم اموري) أُرشق السهم

سيمون آه (النفس الاخير ويقع راسه على الطاولة)

ريموند (متحرقاً) لم أعد أبصر شيئاً

(١) ان هذيان سيمون اعظم دليل على ما غرس الله في قلب الاب الحنون من الحب الشديد لولده . فان الاب في ساعته الاخيرة لا يفكر الا بابنه . وهذه من الطف الوسائل الطبيعية لاطلاع ريموند على دخلة الامر فيتنغص عيشه فلا يهنا بفوزه . و يشعر بانفلات الغنيمة من يديه و يطير فؤاده جزعاً . فنتشفى من هذا الشقي ونقرّ عيناً برجوع كيده على نحره وتضعضع احواله . ونسأل الله ان يخفق مساعيه ولا يجعل له سبيلاً الى اموري

راعول ولا انا . فما نعمل بهذه الجثّة

ريموند (ينادي روبر) روبر (يدخل هذا) . متى حجب الغيمُ القمر اطرَح الجثّة في النهر (لراعول) اتبعني (يخرجان)

المشهد الرابع عشر

روبر . سيمون . ثم الفارس . ايمار . قرو يان

روبر فليحجبِ الغيم القمر ولا يَبقى من هذا اثَر . . . . فما انا مَن يخشى الاموات . وليس يخيفني سوى الارواح . . . أَمَّا هذا فإِني المسه واحرّكه و . . . (يلمس الجثة ويحركها. يظلم المرسح) قد احتجب القمر فهيَّا . . . (يدنو من الجثة ليرفعها فيظهر من الباب الخفي الفارس واتباعه فيصرخ روبر خوفاً ويهرب)

الفارس (لايمار) لم يُخطىء ظَنيّ .لكني اتخذتُ الوسائل اللازمة. والآن جئتُ في حيني (يضع يده على قلب سيمون فيستبشر و يقول للقرو يين) الى خرائب الدير عند مدافن مونفور [١]

(١) عوفيت يا روبر يا ابا الاشبال. فعليك يعتمد ريموند في اموره وانت اولى الناس بانجاز ما يعهد اليك. اما انت ايها الفارس الكريم فلا تظهر علينا الا زدنا اعتباراً لك وتعلقاً بك وثقة فيك - ولكن ما انت صانع بسيمون ؟ لقد احبطت كل مساعي ريموند فظهرت في ساعات الضيق وفرجت الكربة . قد غلبت الرجل فهل تغلب الطبيعة نفسها .ماحيلتك في

الفصل الخامس

يمثّل المرسح مدافن مونفور بين خرائب الدير

١ يميناً ضريح الامير ابي سيمون يعلوه تمثاله وعلى بلاط الضريح ساعة رملية —يساراً ضريح الاميرة ايزابل زوجة سيمون يعلوه تمثالها

٢ يميناً باب الى مخدع

٣ قناطر من جهة الى اخرى يصعد اليها من درج في اليمين ودرج آخر في الشمال . درج اليمين يوصل الى منفذ فوق القناطر الى غابة في الخارج . ودرج الشمال ينزل الى باب دهليز تحت القناطر

الفارس الاسود . ايمار . ريموند . راعول . هوك . روبر . لويس غيليوم . سيمون . اموري . هنري . منادي الحرب . قتلة . انصار سيمون انصار ريموند

المشهد الاول

الفارس الاسود . ثم غناء في الخارج

الفارس (يخرج من باب المخدع كاشف النقاب وفي يده سراج يضعه

السم" وهو قتال" كبغض ريموند لم يبقِ ولم يذرِ . لقد سكن روعنا بما ابديت من السكينة فثقتنا فيك عظيمة بيد آن خوفنا اعظم

انتهى الفصل الرابع وقد بلغ اشتباك الاحوال اشده" و بلغت الروح التراقي ودنت الساعة . فما تكون العاقبة ياترى ؟

على الضريح و ينظر الى الساعة الرملية) تُنبئني هذه الآلة أن قد مضى من الليل اربع ساعات ... فعمّا قليل يتحوّل الخدَر الى نوم هادئ يعيد اليه قواه ونشاطه ... ايْ ربّي . ومنك العدل ومن خلقك الجور ... فلا يخطو المرء خطوةً الاَّ وجد الآثام ... الاثام اينما سار ...
اه لو درى الاثيم بعاقبة الاثم الوخيمة ... لو درى القاتل بما يتكبّدهُ كفّارة عن دمٍ يسفكه ... لو درى الخائن بما يقتضيه العدل الرهيب تعويضاً عن غدره ... (يلتفت مناوبةً الى تمثال الامير والاميرة) ايا روح الامير العظيم . اوَانتِ ناقمةٌ عليَّ ... ايْ مولاتي هل صفحتِ عن فظائع ولدي جرار ... لو كنتَ تعطف عليَّ من اعماق قبرك بل من علوِّ مجدكَ فترى كم قاسيتُ وكم جاهدتُ في سبيل ابنك سيمون كفّارةً عن جريمة ولدي ... وانتِ يا ملاك الرحمة الا يزالُ دمك الكريم يدعو بالانتقام على جرار . إنه غسل ذنوبه بالدم فقضى فداء قرينك المجيد ... وانا ... اه لو تدرينَ كم من ليلةٍ صرفتُها في عناء دائم اطوف الانحاء اشبهَ باشباح الاموات وارواح الابالس . يخافني الجميع ويلعنني كلُّ لسان . كم من

مرةٍ دخلتُ البرج فعفَّرتُ وجهي بالتراب وغسلتُ بمدامعي ارضاً سقاها الخائن بدمك الزكيّ · وكم غرَّرتُ بنفسي لأَدخل على وحيدك اموري فاعزّيه واسعى في خلاصه ··· رحماكَ ايها الامير ··· رحماك مولاتي (يخر راكعًا) اللهم ارحم والدًا حزينًا واجبر قلبه الكسير ··· اه ليتَ لي ان ابذل دمي كما فعل جرار فداء الامير وكفَّارة عن غدر ولدي الاثيم (١) ·· ليت لي ان اسكن قبرًا لا تدنّسه الخيانه (يحني راسه خافتًا فيسمع غناء)

الغناء (صادرًا من باب الدهليز بعيدًا على وزن : بشروا كل الورى)

قد دنا وقتُ الصدامِ فاستعدُّوا يا كِرام
مزّقوا شمل العِدا فتَفوزوا بالمرام

(١) لقد تجلت لنا الحقيقة باجلى بيان · وظهر لنا الفارس الاسود بمظهر العظمة والجلال بين المدافن الرهيبة وقد افادنا عن حال سيمون ما اعاد لنا بعض الامل بشفائه · ولكنا لم نزل في حيرةٍ وارتباك لا ندري ما نعتقد · وربَّ مستغربٍ ينكر قساوة قلب الفارس الذي حتم بالموت على ولده كفارةً عن اثمه ويتمنى لو يموت هو ايضاً للتكفير · ولكن من وقف على تاريخ السالفين كاليونان والرومان وشعوب القرون المتوسطة يعلم علم اليقين انهم كانوا شديدي الاستمساك بدقائق امور الشرف لا يراعون في شانه خليلاً بل يستحلون دم اعزّ الناس لغسل اقلّ الذنوب · فكيف بمن خان اميره وألحق الويلات باسرته ··· فالمنايا ولا الدنايا ···

الفارس (ينصت الى الغناء وقد ظهرت عليه علائم الاشمئزاز فيقف)
لا لا · ما هذه بصلوات · بل صراخ انتقام في مقدِس
المغفرة والرضوان · غناء القتلة بين منازل الاموات . . .
اليكم عنّي ايها الاشرار · لا تدنّسوا باغانيكم محل الراحة
ومقام السلام (يعيد النقاب الى وجهه)

المشهد الثاني

الفارس · ايمار

ايمار (داخلاً من منفذ الغابة— بتأثر شديد) خيانة · مكيدة. ايها
الفارس

الفارس (بوقار) وما جرى · قد سمعتُ غناءً وشتائم · فما تعلم
ايمار اشقياء · انذال . مؤامرة شيطانية
الفارس زِدني ايضاحاً
ايمار باح الاشرار بسرّهم . فصرّحوا بغايتهم · اعتقاداً أنهم
لا يسمعهم احد . وكلّهم بأردية سوداء كالابالس · وقد
جاءوا ليغدروا بسيدي سيمون والامراء انصاره . فاذا ما
حانت ساعة البراز يهجمون دفعةً واحدة مع المختبئين
منهم في الغابة على الفرسان والامراء · والجميعُ غافلون .

فيفتكون بهم . . . وهذا الغناء غناءُ الاشرار . وما كان الاَّ
بعد عقد النية على هذه المكيدة الجهنمية . . . (ينصت)
اخال أني اسمعهم قادمين[١]

الفارس إن الدوق هنري دالبره مخيّم على مقربة منَّا . اوَتكونُ عنده في الساعة

ايمار لك ما تريد . فكلّ عسير يهون في سبيل اسيادي

الفارس (يخرج منه لوحًا صغيرًا من الشمع يطبع عليه عبارة وجيزة) هذا اللوح الى الدوق هنري فالسرعة. السرعة

ايمار لمحةُ بارقٍ . وذمّة ايمار الملاح

الفارس لم تعدْ ايمار الملاَّح بل غُلامَ الامير سيمون حامل سلاحه[٢]

ايمار (بامتنان) مولاي . . .

الفارس (يقاطعه) العجَل ورعاك الله (يخرج ايمار من باب الغابة) بقي عليّ أن أُنادي في القرويّين فهم يعرفونني متى خلعتُ

(١) لقد كان للغناء وقع في النفوس شديد فجعلنا نتوقع اهوالاً قريبة . وما كان دخول ايمار وشرحه الاَّ ليزيدنا قلقًا وخوفًا لاعتقادنا ان الاشقياء قد استقتلوا واستجمعوا قواهم كي يضربوا ضربة قاضية

(٢) حييت يا ايمار يابريد الخير . فانت للفارس الاسود كالاعضاء النشيطة للرأس الحكيم . فبك يجري و بك يسعى . فلم تعد ايمار الملاّح بل غلام مونفور وحامل سلاحه . فاهنأ بهذا الترقي فانت به جدير

هذا الزيّ ولبستُ حلّتي القديمة · فيغادر الفلاّح ارضه والراعي قطيعه · مجيبين دعوتي ··· (ينظر الى الساعة) لَدينا من الوقت نحو الساعة[1]. فلا يفوز الخائن (يمضي من باب الغابة)

المشهد الثالث

ريموند· راعول · القتلة

(لا يكاد ينتهي الفارس من الكلام الاّ يسمع من باب الدهليز نغمة الغناء اقرب من المرة الاولى متقدماً شيئاً فشيئاً حتى يدخل الجميع غائصين في ملابس سوداء وفي ايديهم مشاعل فيصطفون يميناً وشمالاً · وفي آخر الصف راعول يتبعه ريموند فيقف هذا في الوسط · وكل منهما ملتفّا برداء اسودطويل. والغناء متواصل)

لَمْ يزالوا آمنين　　بينَ أَظفارِ المَنون
والقَنا تطلُبهُمُ　　ويلَهمْ مِنْ غافلين

دور

انتمُ بحُرُ الأَنام　　وهمُ القومُ اللئام
فلهمْ شرُّ القبور　　ولكُم اعلى مقـام

(١) لا يسعنا الاّ الاعجاب بسكينة الفارس الاسود ووقاره وترفعه في الملمات الصعاب فهو كما قال الشاعر

رجلٌ اذا خفت حلوم ذوي النهى　في الروعِ زاد رصانةً وتوقرا

ريموند حييتم ايها الابطال · واصحاب النخوة والبسالة · طلعت عليكم الاشباح لتناجزكم . فهل تخافون

القتلة (بصوت واحد) لا · لا

ريموند جاؤوا يسخرون بكم ويغدرون بي انا سيدكم الذي غمرتكم بالمواهب · جاؤوا يدمرونَ بلادكم ويفتكونَ باهلكم . فهل تصبرونَ على تعديهم وفظائعهم

القتلة لا لا

ريموند وإن تخلّف احدٌ منكم او غدر بنا · فهل يكون جزاؤهُ غير الموت

القتلة الموت · الموت

ريموند لا شلّت يمينكم ايها الاسود · فقد حكمتم على الخائن · والويل لمن يخون

القتلة الويل · الويل

ريموند هنا ساحة الوغى · هنا معترك الفوارس على مرأًى ومسمع من الذين تقدّمونا في سبيل المجد . فمَن أبلى في القتال فله منّي ما طلب · أرفعه الى اعلى الرتب واغمره بالعطايا

القتلة حُيِّيتَ مولانا · حُيِّيتَ مولانا

ريموند سيروا ايها الابطال الى الغابات · واستعدّوا للنضال ·

وأضرموا في افئدة قومكم نار الحماسة · واذا حان الزمان
فاهجموا معهم هجمة واحدة وافتكوا بالعدى وانتم الرابحون
هيُّوا وتهيوا فقد ازفتِ الساعة · وانتم

رِجالٌ تقحمُ الهيجاءَ نحرًا وتُضرِمُ في حَشا الحُسَّاد جَمرا
رِجالٌ دأْبُهُمْ كيدُ الاعادي وشُربُهُمُ دَمُ الفُرسانِ خَمْرَا

(يخرجون من باب الدهليز كما اتوا الا ريموند وراعول)

المشهد الرابع

ريموند · راعول

راعول (بهزء يخالطه خوف) أَخزاهُمُ الله · فقد راعني مرآهم وهالتني اصواتهم. وهي اشبهُ بعرير الوحوش الضارية. وقد كنَّا جميعنا كسِربِ الغِربان وجماعات البوم نعق فوق الخرائب

ريموند الم يقَعْ منك موقعًا هذا المشهد الرهيب

راعول أَلاَ خلِّ عنك الاوهام· فما انا من يعبأ بمثلها · وكان الاولى بك لو تركتني في لَذَّة الكرى من ان تجمعني بهؤلاء

ريموند النومُ اولى · لكن هل فاتك انَّ مثل هذه المواقف لها

الوقع العظيم في نفس هؤلاء الذئاب · اضرم في افئدتهم روح الشرّ وهيج فيهم عوامل البغض والمطامع واغنم ما تنتج اعمالهم واتعابهم(١)

راعول بالصواب نطقتَ · فالعاقل من شوى في الحريق سمكته . وما همّني ان جمعتني بهم او بالضباع · ان كان بذلك بلوغ المنى

ريموند (متاملاً في المكان) للهما اغربَ البراز بين المدافن . فكيف عنّ لسيمون أن يختار منازل الاموات

راعول (هازئاً) لئلاّ تتكلّف حمل القتيل بعيداً . . . لعَمري . انّي اضحك سلفاً مماّ يلمّ بالفرسان والامراء من الدهشة حينما لا يوافيهم سيمون في حينه قياماً بوعده

(١) ان المشهد السالف لمن اكبر المشاهد الرهيبة · وربّ معترض يقول ما الداعي الى مجيء هؤلاء القوم وذهابهم · فذلك لا يزيد في مجرى الرواية حركة ولا يزيدنا ادنى معرفة · فما ظهروا الاّ لكي نرى حسن قامتهم وجمال صورتهم · ان الاعتراض يكون في محله لو لم ينبهنا ريموند نفسه الى الغاية من هذا المشهد · فانه في حديثه مع راعول يخبرنا انه اتى بقومه ليدلهم على ساحة البراز كي يهجموا عند اللزوم و يفتكوا بالخصوم على غرّة منهم · وما عدا ذلك فانه قصد ان يهيج في قلوبهم عوامل الحماسة والاستبسال في مثل هذا المقام الرهيب

ريموند (بمعنى) ليس لهم ان يذهلوا · فهم يعتقدون لا شكّ أنّ ابليس اختطفه · · · وما عليّ الاّ اليمين المحرّجة أنني دخلتُ به قصري ولم ارَهُ خرج منه

راعول وانت والله لم ترَهُ حين القاه روبر في النهر

ريموند (كأنه يتذكر بصعوبة اسماً عرفه) ومن يكون روبر

راعول رجلٌ أبله · لا يخلو من الشجاعة والإقدام على العظائم · لكنه تستولي عليه الاوهام فتاخذ منه المخاوف

المشهد الخامس

ريموند · راعول · هوك

هوك (من باب الدهليز) مولاي كنتُ في طلبك

ريموند ما وراءَك يا هوك

هوك انّ احد عبيدك لم يقُم بانفاذ امرك · فجئتُ اسألك رأيك فيه

ريموند مَن يكون الرجل وبمَ عصاني

هوك هو روبر · الذي وكلتَ اليه الليلة البارحة ان يلقي في النهر الفارس القتيل

ريموند (وقد طار شعاعًا) وما فعل

هوك اقسم لي أنه احسن القيام بما وكلتَ اليه . لكنه أسرّ
الى اقرانه أنه لمّا عمد الى طرح الجثّة في النهر طلع عليه
الفارس الاسود فغادر كلّ شيء وفرّ هارباً (١)

ريموند (مرغياً) لا اقلّت مثله الارض . . . فما حلّ بالقتيل .
الا بربّك يا هوك استطلع الحقيقــة وعُد اليّ بالخبر
الصحيح . وان ثبت ان الشقي تخلّف عن طاعتي فاقتلهُ
اشنعَ قتل ولا تتردد . فانت المطالَب بذلك (اول العاصفة
قليلاً من المطر والبرق والرعد)

راعول اخذتِ السماء تُمطر . ألاَ تطلب ملجأ (٢)

---

(١) ما سمعنا بذكر روبرالاّ هشت نفوسنا الى اخباره . وان قلوبنا لتشتفي من ريموند وخيبته . فانه اراد في الفصل الرابع ان يبقى فيشهد طرح جثة سيمون في النهر ايتاكد بلوغ الارب . نقضي عليه ان يسرع في الخروج . غير انه كان مطمئن البال فاخبروه الآن ان الجثة صارت الى قبضة الفارس الاسود . فساءه معاكسة الاحوال . لكنه لم يزل واثقاً بموت سيمون . وهذا المهمّ لديه . فما تكون حاله اذا صحّ ان الامير لم يمت ودرى هو بذلك

(٢) المطر — خذ صفائح معدنية رقيقة كالورق واجمعها الى طرف قضيب قصير . فكلما هززت القضيب بعنف او لين سمع صوت مطر شديد اوخفيف

الريح — لقد شاع من بعض سنوات استعمال صفارة (صوفيرة)

ريموند بلى فلندخل من الباب (يشير الى باب المخدع وراء تمثال الامير فيتقدم ويهزه) انه موصد (١) هيا بنا الى الدهليز (يذهبان)

يحاكي صوتها عصف الريح . فان لم يمكن الحصول على مثلها نخذ لك ورقة بطول ثلاثة اذرع وعرض اصبع واحدة (مثل ورق التلغراف) واجعل في طرفها حصاة وار بطها بخيط . وامسك طرف الخيط ودوّره كالمقلاع بعنف او لين فيسمع صوت كالريح العاصفة او الخفيفة . ومنهم من يحاكون صوت الريح بالنفخ من افواههم

البرق — اطرح من مسحوق ليكوبوديوم على شمعة او نار مشعلة (والنار افضل لان الشمعة تنطفىء عند وقوع المسحوق عليها فتفوت الفرصة المناسبة) فيظهر البرق شديد اللمعان او ضعيفاً . متواصلاً او متقطعاً . وكل ذلك حسب الكمية والسرعة . ولا بدّ من طرح المسحوق بعنف شديد ليظهر البرق طبيعياً . ويستخدم لهذه الغاية محقنة (حقنة) اورشاشة الروائح التي لها كاوتشوك

الرعد — يؤخذ لوح توتيا كبير فيعلق من احد اطرافه . فاذا امسكته من الطرف الاخر وهززته بدا منه الرعد شديداً او خفيفاً . متواصلاً او متقطعاً . بقدر العنف او اللين . تواتر الهزّ او قلته

(١) قد اشفقنا مراراً كثيرة من التقاء ريموند بسيمون فجأة . انما في تلك الظروف كان سيمون حياً معافى مسلحاً تسهر عليه عين الفارس وايمار . اما الآن فقد اشعرنا بخوف لا مزيد عليه لمجرد تصورنا امكان دخول ريموند على الامير ميتاً او عليلاً خائر القوى ولا نصير له

المشهد السادس

هوك ثم روبر

هوك (لنفسه هازئًا) ما كان روبر ليفرح بمثل هذه الأوامر ... وعلى كلٍّ ذلك خير مما لو أمر بشنقي انا

روبر (يدخل من باب الغابة ويصيح وهو على القنطرة) اليس في النزول خطر. وهل يسلم رأسي

هوك مثلُ هذا التحرُّس اولى بسواك . فمثلك لا نفع له برأسه

روبر لستُ كما تقول (ينزل)

هوك (ملاطفًا) قل لي بحياتك . اما رأيتَ البارحة الفارس الاسود فتركتَ الجثَّة ولم تعمل بما أُمِرتَ

روبر أَما وقد اشتهر عندك الامر فهاك الواقع . اعلم اصلحك الله أَنني ما دنوتُ من القتيل (مستعظمًا) الا سطع نور . ثم شخصتْ اليَّ عينان بارقتان . وما كان ذلك الاَّ الشبح الاسود ... فغادرت كل شيء ونزلتُ الدرجات مثنى بل ثُلاث بل ...

هوك (يقاطعه) وزعمتَ أَنك عملتَ بما أُمرت ؟ ولم تذكرْ لريموند شيئًا عن الشبح ؟

روبر (مستخفًا به) او تظن ابنَ امّي ابلَه فيغرّر بروحه

هوك (ملاطفًا) سألتُك بالله · او ليس معك حبل · فانت لا تخلو منه

روبر (مفتخرًا) بلى · هاك حُبالة الصيد · فهي لا تفارقني · ولا غنى لي عنها · أُطلقها على الحيوان فتأخذ بعُنقه

هوك اربطها الى حجار القنطرة · · · ربطًا محكمًا . لا تنسَ

روبر اوَخطر لك ان تترجّح (وهو صاعد ليربط الحبل الى القنطرة)

هوك بل أُمرتُ أَن اشنق رجلاً

روبر لا شلَّت يدك (وقد ربط الحبل ونزل) وانا الكفيل انّ الحبل متين. محُكم الربط

هوك جرّب نفسك (يفتح ذراعيه كانه يمنعه من الفرار)

روبر (مستغربًا هازئًا) جرّب ؟ · · في غنى · · · وهذا يؤلمني · · · فضلاً عن انه لا يعنيني

هوك بل يعنيك دون سواك · فاني أُمرتُ بشنق جبان نذل مثلك ترك العدوّ يفرّ من ايدينا

روبر لم يفرّ. لأنه كان قتيلاً · بل الشبح الاسود فرّ بهِ · عليك بالشبح فطالبهُ

هوك هيًّا. عجّل

روبر عجّل ؟ . . ما اسهل القول . فكيف يُعامِل سيدي مثل هذه المعاملة خادمًا امينًا نظيري [(١)]

هوك عجّل . عجّل (وهو فاتح ذراعيه كما سبق)

روبر (وقد اصبح ما وراء تمثال الامير) لا لا (يتقهقر فيصدم باب المخدع فينفتح له فيدخل و يوصده وراءه)

هوك فرّ الشقي الى الدهاليز . هيَّا من السلَّم لئلا يفوتنا (يخرج من باب الدهليز)

المشهد السابع

ايمار . ثم روبر

ايمار (ظهر فوق القنطرة قبل اختفاء هوك وهو لابس كامل سلاح الامير وفي يده علم مونفور وسلاح سيمون) قد بلَّغتُ الرسالة وهاءنذا مستعدٌ للقتال (ينزل و يركز العلم) لا ريب انّ سيدي الامير سيمون في هذا المكان . . . اعاد الله عليه القوّة والنشاط . . . مَن لي ان اجتمع بالفارس الاسود . . . ليتَ شِعري ما هذه النـــار التي سطعت على قمّة

(١) يعزّ علينا وايم الله ان يكفر سيدك بمعروفك يا روبر ويلحق بك الاذى

الصخر ... ولِمَ يتسارع القرويّون الى خرائب الدير(١)

روبر (يظهر فجأة من المخدع متكلف الشجاعة والفرح ولم ينتبه الى وجود ايمار) علق الخبيث ! وقع في قبضتي · وسلم رأسي

ايمار (على حدة) لعنةُ الله · هذا من اشياع ريموند وقد ولج الغرفة

روبر نائم · نائم · بودّي لو كان خنجري في يدي لحززتُ رأسه دون ان يستفيق (ينادي) سيدي ريموند · يا اخوان هلمّوا. فاردّ عليكم القتيل الهارب(٢) ··· قاتلهم الله . . . مشنقة لي (يهم بالخروج من باب الدهليز)

ايمار (يعترضه في سبيله يتهدده بخنجره) خطوة او كلمة وانت قتيل

روبر (لنفسه واجمًا)ما شاء الله . المشنقة او الخنجر · صدري او رأسي

ايمار ايّاك ان تخطو · والاّ ···

---

(١) لقد ازف وقت البراز وخيانة ريموند الجديدة · فانهُ هيأ رجاله لمفاجأة خصومه والفتك بهم · لكن الفارس الاسود قد ارسل ايمار يدعو الدوق هنري لنصرة الحق وسار هو ينادي في القرويين ويجمعهم نجدةً لسيمون

(٢) قاتلك الله يا روبر · لقد سررنا بنجاتك من ايدي ظالميك · فخنت تخون من وجدت الخلاص في مخدعه · لكن ايمار يتكلف تاديبك

المشهد الثامن

ايمار . روبر . لويس وغيليوم من منفذ الغابة

لويس (يقاطعه مخاطباً غيليوم) اخال انهم شرعوا في القتال قبل حضورنا

غيليوم رجل من خفراء ريموند . وغلام من غلمان مونفور . (يخاطب ايمار وروبر) لَعَمر الحقّ يا اخوان تجاوزتما حدّ الحماسة فشرعتما في البراز قبل سيّديكما

لويس ارى خلل الرماد وميض نار . وما اِخال البراز الاّ ينجلي عن حرب عوان فقد وجدتُ قوم ريموند ملأُوا الغابة والقرويّين يتسارعون كأَنهم يتأَهبون لمناجزة عدوّ ذي شان . وقد بصرتُ ايضاً باعلام الدوق هنري سير دالْبره طالعة علينا . ولا ريب انّهُ يحمى وطيس الحرب . فعسى لنا فيها نصيب . فقد مللنا السكون وملنا الى الحركة[١]

غيليوم انما لسوء الطالع لا تلبث أَن تُمطر السماء وتعصف الريح فتحول دون المنى ويتعذّر القتال

(١) اتت الساعة الخطيرة فحضر الامراء والفرسان لشهود البراز . فنادى منادي الحرب ولم يبقَ الاّ ان يظهر الخصمان و يقتتلا

لويس   ينتهي كل شيء قبل أَن يداهمنا المطر ٠٠٠ (يشير الى الساعة) أُنظر الى الساعة الرملية ٠ فقد فرغت حبات الرمل وازف الميعاد ٠٠٠ هاك منادي الحرب برز في الوقت المضروب (قد انسلّ روبر من باب الدهليز)

المشهد التاسع

ايمار ٠ لويس ٠ غيليوم ٠ منادي الحرب ٠ و بوّاقان ٠
ثم فرسان الفريقين

(يدخل المنادي والبوّاقان من منفذ الغابة فيقف والى جانبيه البواقان فوق القنطرة ٠ بعد ان ينفخا في البوق يدخل من منفذ الغابة انصار سيمون و يصطفون الى اليمين وفي مقدمتهم ايمار حامل علم وسلاح سيمون ٠ ومن باب الدهليز انصار ريموند فيصطفون الى الشمال وفي مقدمتهم راعول يحمل علم ريموند وسلاحه — ينفخ البوّاقان ثانيةً فيقول المنادي)

المنادي   ايها السادة والامراء والفرسان : نُعلن لكم انهُ في هذا البراز ٠ برازٍ حتى الموت ٠ لا يسوغ لفردٍ منكم ايًّا كان ان يبادر الى نجدة احد المتبارزَين ٠ الاَّ اذا بدا من خصمه غدرٌ او مكيدة ٠ وما عدا ذلك فالقاضي الوحيد هو ربُّنا الاله العادل ٠ انَّه نعم الوكيل (ينفخ البوّاقان في البوق ويخرجان مع المنادي من باب الغابة)

المشهد العاشر

ايمار · لويس · غيليوم · راعول · فرسان الفريقين · ريموند

انصار ريموند حيَّا الله الفارس ريموند

ريموند (وقد ظهر عند نفخ البوق) ايها الكرام · لقد وضح لَدَيكم أَنَّ الفارس نوميس لم يفِ بوعدهِ · بل تخلَّف عن الميعاد

لويس عليك ايها الفارس أَن تفيدنا عمَّا جرى · فإنَّه البارحة دخل قصرك واثقاً بعهدك

ريموند. إِعلم اصلحك الله أَنه دخل كما يدخل الكافر ليبارز ربَّه · ولستُ ادري ما حلَّ به · فإني وذمَّةِ الفرسان لم ارَهُ خرَج · ولم اقفْ له في القصر على خبر ··· ورجائي ايها السادة الحاضرون في هذا المقام أَن تقضوا بالحقّ لمن لم يتخلف عن الموعد وتَسِموا بسمَة خائن غدَّار ···

المشهد الحادي عشر

ايمار · لويس · غيليوم · راعول · فرسان الفريقين · ريموند · سيمون

سيمون (يبرز من المخدع متمّاً العبارة) مختلس وقاتل · ريموند (اضطراب ريموند وانصاره)

انصار سيمون (بفرح) حيّاً الله الفارس سيمون[١]

سيمون خائن لأنه باع الامير سيمون وليّ نعمته . مختلس لانه اغتصب قصره واملاكه . غدّار لانه غدر بالامير اموري واذاقه في السجن انواع العذاب . قاتل لانه طعن الاميرة ايزابل والقى الشبهة على سواه ولانه في الليلة البارحة دسّ السمّ في كاس ضيفه الامير سيمون ... ويلك يا شقي لم تكن لتتوقّع وجودي في هذا المكان بعد قولك لي البارحة إنّ السمّ قتّال كبغضك لا يُبقي ولا يَذَر . لقد فاتك أنّ ملاكاً يرعاني بعينه الساهرة . فودّع الحياة فإني وتربة اجدادي الراقدين في هذا المقام لاجعلنّك للناس ادباً

---

(١) ان دهشتنا وفرحنا بظهور سيمون في حينه لا يقابلها الاّ اضطرابنا وخوفنا قبل ذلك . فاذا كان لهذه البغتة تاثير شديد فينا ونحن على نوع ما نرجوها لوقوفنا على بعض السرّ واملنا بامكان شفاء سيمون . فما يكون شان ريموند وهو لم يتوقع هذه النتيجة ولم يكن يخطر له ببال ان سيمون يقوم من عالم الاموات لينزع اللقمة من فمه . ولا يدري كيف جرى ما جرى . اما نحن فلا يسكن جأشنا الا لما نذكر قول الفارس الاسود في آخر الفصل الرابع وفي اوّل الخامس فيتضح لنا انه كان يتوقع من ريموند كل انواع الخيانات فسهر و بدل السمّ بدواء مخدِّر . وكان له في مسعاه المجيد ايار اكبر نصير . فنام سيمون وافاق في الوقت المناسب . ولا ينكر ان هذه القضية لا يسهل التصديق بها . وليست تخلو من التكلف

ريموند (وقد تجلد) ساءَ ما قد توهَّمت

سيمون جاوزت يا ريموند في البغيِ المَدى

ويلٌ فإنَّ البغيَ يعقبهُ الندَمْ

فالرمحُ انصفُ للفتى من ظالمٍ

والسيفُ أَعدلُ في الامور منَ الحكمْ

نحنُ الليوثُ فلا يُرامُ جَنابُنا

بالبطش نقتنصُ الاسودَ منَ الاجمْ

لا نبخلنَّ على العدوّ بضربةٍ

فسيوفنا فيهِ تعوَّدتِ الكرمْ

ريموند سيمونُ هل مثلي يذلُّ وصارمي

في حدّهِ رُسُلُ المنيةِ كالخدَمْ

وسِنانُ رُمحي في العَجاجِ كأَنه

برقُ المنيَّةِ ساطعاً تحتَ الظُّلَمْ

لا ارجعنَّ عن الوغى ما لم انَلْ

نصراً وانشُرْ فوقَ تولوز العلَمْ

(يلبس كلٌّ من سيمون وريموند عدّة حربه . وقد اعطى كل من ايمار وراعول ما يحمله الى جاره واخذ يعاون سيده على لبس السلاح)

سيمون يا لمونفور

ريموند يا لتولوز (ما ينادي كل منهما نداء الحرب و يتقهقر ليثب على خصمه الا يظهر الفارس) !

المشهد الثاني عشر

السابقون • الفارس الاسود

الفارس (من على القنطرة) كفًّا عن القتال (يقف الجميع بدهشة)
معشرَ الامراء والفرسان اليكم عن البراز والحقوا برجالكم
فقد كادوا يتفانون • فريقٌ رفعوا راية مونفور . وفريق
راية تولوز • خلّوا عن البراز وأنجدوا قومكم (يعود من حيث اتى)

سيمون ريموند ريموند • موعدنا ساعة الوغى (١)

ريموند لَبَّيك سيمون (يذهب كل فريق من حيث اتى وفي المقدمة سيمون وريموند — برق ورعد ومطر وريح في ازدياد)

المشهد الثالث عشر

اموري • ثم الصدى

(اموري لابسًا رداء ملاّح يظهر من منفذ الغابة بعد ذهاب الفرسان بحين)

ها قد بلغتُ المكان المعهود ... وبهذا الرداء خفيتُ
عن ابصار قوم ريموند ... لكنني ضللتُ المسلك في

(١) ما اكثر البغتات في هذا الفصل

الغابة(يخلع الرداء)٠٠٠قال لي الفارس الاسود«ملقانا في خرائب الدير» ٠٠٠ ها قد وافيتُ ٠ فأنى لي ان اجتمع به ٠٠٠ فهذه الاطلال فسيحة الارجاء ٠ والدهاليز لا تُحصى ٠٠٠ لستُ أُقدم على التجوّل بين المدافن ٠٠٠ وكأني بهذه التماثيل تصيح بي « اليك عنّا ايها الفتى ولا تكدّر راحتنا» ٠٠٠ ألاَ يا ارواح اجدادي ما أنا مَن يكدّر راحتكم ٠ لا تسخطوا عليّ ٠٠٠ بل أنجدِوا اموري فإني مستجيرٌ بحماكم ٠٠٠ (ضجة قتال في الخارج تقترب بالتدريج) أسمع خشخشة العُدَد وصليل السيوف ٠٠٠ قد اشتدّ القتال وراء هذه الاطلال... راعني غمغمة الابطال وقصيف الرعود ٠٠٠ اليّ رباه ٠٠٠اني الوذُ بقبرِكِ يا اماه وذكرُكِ يشدّد عزائمي (يستند الى قبر امه او يركع على بلاطه) ... وابي ، ابي الهمام ٠٠٠ ترُى ٠ هل نجا من البرج... ما كانت العاقبة...... ان كان الخائن ريموند ... اه ... اه ... ما عدتُ أُطيق البقاء ... الهي ... اماه ... لو كان الفارس الاسود ... لو اناديه ... لكن هـذه القبور [1] ...

(١) هذا المشهد يؤثر في الحاضرين ولكنه يقتضي اتقانًا زائدًا وعناية شديدة بالذي يمثله لانه يكون حديث السن ولا يسهل عليه ادراك ما فيه

(يدنو من آخر المرسح و ينادي) دولور . دولور

الصدى دولور

اموري دولور

الصدى دولور

اموري ليس غيرُ الصدى (بلغت الضجة مبلغها) علا الضجيج . . . وكأني بالمقاتلين يقربون من هذا المكان . . . لم اعد اميز بين الاصوات . . . ابي . صوت ابي (يسرع الى باب الدهليز من حيث سمع الصوت · فيعود مذعرًا ليختبيء امام تمثال الاميرة)

المشهد الرابع عشر

اموري · ريموند

ريموند (من باب الدهليز مكشوف الراس · مكسور السيف · في منتهى الغيظ والكمد) أَمَا كفى أني غُلبتُ حتى كان هو هو قاهري . . . شاهدتُه يخترق الصفوف وسيفه يقدُّ المخافر والدروع . . . شاهدتُ شريك اعمالي راعول قتيلاً بسيفه · وانا انا عفَّر وجهي بالتراب وداس صدري برجله . . . لكنه اعرض عنّي ازدراءً . ولم يقتلني ترفعًا عن ان يدنس بدمي حُسامه . . . ويلاه . انا افرُّ هاربًا وهو يسود في قصري واملاكي . . . واكمدي . . . اني

اجود بروحي في سبيل الانتقام ٠٠٠ ولو بعض الانتقام
(يحاول اموري الانزواء لشدّة الخوف فيراه ريموند فتبرق عيناه ويضحك ضحكاً مريعاً)

اموري هلكتُ ... رحماك ٠ رحماك ٠ بحقّ امي[1]

ريموند (بهياج شديد) الرحمة ؟ الرحمة ؟ الا يدري أني وددتُ لو اجود بروحي في سبيل الانتقام ٠٠٠ يستحلفني بحق امّه ! . . ألاَ يدري انّ خنجري قطع احشاها وزجّها في وهدة القبر . . . اه ما الذّ الانتقام . لم اكن اتوقع مثلَ هذا الحظّ . . . الآن يقرّ قراري بالبعاد . . . أُبعد عن هذه الديار ٠٠٠ ولكن . . . بعد ما اغسلها بالدم (يستل خنجره و يتقدّم)

اموري (راجعاً وراء التمثال) ارحمني ارحمني

ريموند ارحمك . رحمني ابوك فكانت رحمته شؤماً عليك

اموري ارحم ٠ ارحم

ريموند لك في الموت رحمة وفي القبر راحة (يهجم عليه ٠ يهرب اموري صاعداً من درج الشمال فيبادر ريموند الى درج اليمين ليقطع طريقه ٠ فيقفان على القناطر في الطرفين ٠ وكانت البروق والرعود والرياح لا تزال تزداد حتى بلغت اشدّها)

---

(١) ان هذه البغتة تولد من الخوف ما لا يقابله الا السرور الحاصل من ظهور سيمون بغتة في المشهد الحادي عشر

اموري ايها القلب الصخري · خَفْ ربّك · خف صواعقه . . .
اعنّي يا الهي

ريموند لا يُنجيك احدٌ من يدي . . . لا ربُّك ولا صواعقه التي
استخر بها (و يريد الهجوم فتنقض عليه صاعقة تزجه وراء القناطر)[١]

اموري (مرتاعًا) غار في الهاوية[٢] . . . هلك تحت الردم . . .

(١) الصاعقة — خذ ثلاثة او اربع تنكات كاز واجمعها برباط لا يضمها كقطعة واحدة بل يترك لكل منها حركة مستقلة · فاذا وقفت في مكان عالٍ وقبضت بشمالك على التنكات وضربت عليها بمجموع يمينك بقوة وشدّة فطرحتها كلها على ارض المرسح سمع لها قعقعة كالصاعقة · ولا بدّ من برق شديد قبل الصاعقة وبروق ورعود بعدها · ولما مثلنا هذه الرواية في عاليه قدّرنا ان الصاعقة لا تقع على ريموند وتزجه بل تقع على قنطرة فوقه تتهدّم وتقتله بسقوطها · وقد نجح ذلك نجاحًا تامًا حتى ان الحاضرين ارتاعوا مما راوا من سقوط الحجارة حتى خيل لهم ان جدارًا تهدّم · فوقفوا ليروا ولكن سكن بالهم لما راوا من السكينة في الملعب · وما الحجارة سوى صناديق كرتون مختلفة القطع مدهونة بما يشابه لون الحجر ومترتبة على هيئة قنطرة

(٢) هذا المشهد يشبه ما رأينا في الفصل الرابع من اقدام الوالد على مبارزة ولده عن غير معرفة · ومبادرة الفارس الاسود الى ملافاة وقوع المصاب · فنحن الآن ندعو الفارس كما عوّدنا مجيئه في الضيق · لكنه منهمك في الحرب والمدافعة عن سبمون فلا يقوى ان يكون في مكانين ·

... (ينزل) اشكرك اللهم من صميم الفؤاد فانك لم تتخلَّ عن عبدك (الى تمثال الاميرة) أُمَّاه . قد نجا وحيدك . انتِ . انتِ من العلى شفعتِ بي ... ما حلَّ بوالدي ... كنت تميَّزتُ صوته يدَّعي في ساحة الوغى . والآن لا اسمع شيئاً . وقد ساد السكون . فلا ريب ان خمدت نار الحرب ... فما الَّم به ... والفارس الاسود لا يأتي اليَّ ... اين انت يا دولور واين ابي ... (يصغي) يخال لي اني اسمع ... (ينظر الى منفذ الغابة) بلى ارى الفرسان مقْبلين ... وفوقهم تخفق رايـة مونفور ... ابي معهم ... (يظهر سيمون تتبعه الفرسان) ابتاه

المشهد الخامس عشر

اموري . سيمون . هنري . لويس . غيليوم . ايمار . فرسان . وقرو يون

سيمون (وقد نزل) ولدي اموري ! (يتعانقان)

اموري ابتِ الحنون . ما امرَّ البعاد . تباركَ الله فقد عدتَ حيًّا

غير ان الله لا يغفل عن نصرة المظلوم . وعنايته الخفية التي كانت تجري بواسطة الفارس الاسود تظهر الآن ظهوراً واضحاً بغير واسطة بشر . وهذا ما يسمى بالخارق (Le merveilleux) فاراحنا الله من ريموند وراعول الشقيين

هنري حيّاً تخفق فوقه راية الفوز . فرجع النصر الى سيفه البتّار

سيمون لكن اعلام سيدي الدوق هنري عقد ببنودها الظفر . وكذاك فرسان سيديّ الكونت غيليوم دي پروڤنس والكونت لويس دي فُوَا كانوا في مقدّمة الجنود يهدوننا سبيل الفخار

لويس كلٌّ من الفرسان والقرويين اَبدى من البسالة ما يُشكَر وجاهد الجهاد الحسن . فعُد يا رعاك الله بالعزّ والاقبال الى دار ابائك الكرام . وما كان ريموند ليعود فينازعك

غيليوم لن يعود يا سيدي . فان يد الله ضربته على حين كان يتعمّد جريمة جديدة . فهو الآن دفين تحت الردم في الهاوية

سيمون رحمه الله ولا قابله على اِساءَته الينا . فكفاني من نعمه تعالى انهُ جمع شملي بوحيدي . على اني ايها الكرام لم يتمّ نعيمي . . . فقد شاهدتم كلكم في مقدمة الصفوف الفارس الاسود اشبه بملاك الموت يفتك بالعدى . وما كنتُ اعلم ما يحمل هذا الفارس العجيب على التفاني في سبيلنا . فهو من عهد بعيد يغرّر بروحه فدانا . هو انقذني من اعماق السجون . هو سهر على وحيدي وردّه عليّ . فربما المّت به الساعة مُلمّة . فاذنوا لي ايها السادة اَن اَكرّ راجعاً . . .

فلن اتخلَّف عنه وتربة اجدادي

هنري كلنا معك ايها الامير (يهمون بالخروج فيرى من منفذ الغابة جريحًا) تُرى من يكون الجريح

سيمون هو هو بعينه

المشهد السادس عشر

السابقون · الفارس الاسود (من غير خوذة ونقاب · اشمط الراس جريحًا يسنده قرويان)

اموري ملاكي الكريم

الفارس (للقرويين) قليلاً · الى ما بين القبرَين . . . ان بقي لي رمق فهنا هنا ارغب ان اجود بآخر نسمة من الحياة · بين القبرَين طاب لي كاس الحمام

سيمون اوَ انت تموت يامن فديتنا من الموت

الفارس سيدي الامير . انك استنسبتني مرَّة بعد مرَّة · ورغبت في معرفة اسمي . . . وابي لقد لعب البياض بلمَّتي وفعل الحزن والهم في وجهي فخفيت ملامحي عن كل البشر . حتى عن سيدي الامير نفسه · فلم يعرف صاحب شُرطه

(١) لم يعد في وسع المشرف والشهامة الا ان يرضيا كل الرضى وفوق الرضى

جوفروا (تشوق الجميع منذ البداءة . دهشتهم الآن) . . .
بلى انا جوفروا ابو جرار الخائن . . . انا جوفروا

سيمون واموري ايها الشهم المجيد

الفارس ايها الكرام . هل لي من رجاء ان الفرسان تنسى اسماً ذكرتُه . . . اني ركبت الاخطار وتجشَّمت الاهوال عشرة اعوام . وقد سُفك دم ابني جرار . . . واليوم سال دمي . . . كفَّارة عن اشتراكهِ في الخيانة . . . فهل صفح الشرف . . . فهل ترضى الشهامة[1]

هنري حُيّيتَ ايها الفارس

الفرسان حُيّيت ايها الفارس

لويس انت معدن الشرف

غيليوم انت عنوان الشهامة

سيمون انت لنا أَبٌ كريم

الفارس الفضل كل الفضل لايمار

سيمون ايمار اصبح بعزَّة ولدي . انه اقتفى اثار آبائه الاماجد . فيكون شريك اموري في نعيمه . كما شاركه وعزّاه في سجنه

---

(١) لم يعد في وسع الشرف والشهامة الاّ ان يرضيا كل الرضى وفوق الرضى

اموري اني رأيتُ منه صديقاً وفيًّا فلا يزالُ اخي الحبيب[١]

الفارس سيديَّ الاميرين · لقد كالَ النصر مسعاكما . فصرع

الباغي وخيم · والله مع الحرّ الكريم · فعودوا الى القصر

في عزٍ وهناء · وانا اسير معكما لاشهد نعيمكما[٢] ... ثم

اعود الى هذا المقام الذي قضيتُ فيه الاعوام الطوال ...

وابذلِ ما بقي لي من الحياة في خدمة المساكين · واذا

ما متُّ فادفنوني الى هذه القبور ... ومن مرّ بي فليترحم

على الفارس الاسود

سيمون كُن حيثُ تَرضى ايها الامجدْ

فلكَ القلوبُ جميعُها معهَدْ

أَبقيتَ ذِكرًا مِن صنيعِكَ خالدًا

لجميلُ فعلِكَ للمَدى يحمدْ

ان ضَلَّ عن تعدادِ فضلِكَ جاحدٌ

فهي المدافنُ كلُّها تَشهدْ

أَرغمتَ عبدًا خائنًا وفَدَيتَنا ولنا رددتَ العزَّ والسؤددْ

---

(١) هذا عدلٌ وانت يا ايمار جدير بكل نعمة . فنهنئك من صميم الفؤاد

(٢) وانتما ايها الاميران تمتعا بما استحقيتما من الراحة بعد التعب والهناء بعد الشقاء . ووفق الله كلّ حرٍ كريم الى حسن الختام كما وفقكما

فَلَنُهدِيَنَّكَ ما حَيينا شكرنـا يا خيرَ فادٍ في الورى اوحَدْ
ولئن نَمُتْ فعظامنا تحتَ الثرى أبداً تُحَيّي الفارس الاسودْ (١)

«انتهت»

---

(١) اما انت ايها الفارس فانك الآن في تجردك عما يحق لك من نعيم الدنيا وانقطاعك الى خدمة المساكين لاعظم واكبر وامجد منك في كل مساعيك الكريمة واعمالك الشريفة . فليس لنا الآن ان نردد قول الامراء انك معدن الشرف وعنوان الشهامة وما نسمع او نرى غيرة وتفانياً في الخير الا نذكر ونحيي الفارس الاسود

لقد بلغنا الارب ووقفنا على كل التفاصيل وشهدنا مصرع الباغي وفوز الفضيلة . فلم تبقَ حاجة في نفس يعقوب

